القطوف الجنية من

الأربعين النووية

إعداد :

أم السمح القرشية

al-sumoud

القطوف الجنية من
الأربعين النووية

إعداد :

أم السمح القرشية

al-sumoud

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

مقدمة

إنّ الحمدَ لله؛ نحمدهُ، ونستعينه، ونستغفرهُ، ونستهديه، ونعوذُ بالله من شُرُور أنفسنا ومن سيّئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلّا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ مُحمّدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أمّا بعد؛ فإنّه ولمّا كانت أربعين الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأهميّة بمكان، إذ جمعها وحصّلها، وأجملها وفصّلها، حتّى تسابق في شرحها المُتسابقون، سلف ومعاصرون، فجاءت الشّروح من حيث قدرة المسلم على استيعابها بين صعبة ومقبولة.

ثمّ ولمّا عادت الخلافة بقوّة الله وحده ومن ثمّة جهود الصّادقين، بُعثت حلق العلم وأنشئت المدارس، وفتحت المعاهد، لتعلّم النّاس -رجالا ونساء- أمور دينهم، وتصحّح المعتقدات، وتنقض عرى الشّرك والكفريّات، وتبثّ توحيدًا نقيًّا خالصًا، وتنشر منهجًا سليمًا صافيًا، يُصدع فيه بالكفر بالطّاغوت دون تأتأة، ويُنادى فيه للجهاد دون تهتهة، فجمعتُ الأربعين وثِنْتَيها، وتفيّأتُ بظلالها، وتجرّأت على شرحها بما يتناسب وجميع أفهام أخواتي المسلمات، واللّاتي هنّ بين أمّيةٍ ومتعلّمةٍ، وحاولتُ أن أجعل قطوفها دانية لجانية ثمارها، فسعيتُ جاهدة لتبسيطها وإن طالت، حتّى إذا ما سمعتها الأمّيةُ استوعبت، وإذا ما قرأتها المتعلّمةُ تنوّرت والله من وراء القصد.

أسيرُ خلفَ رِكابِ النُّجبِ ذَا عرج * مؤمّلًا جبرَ ما لاقيتُ من عوج**

فإن لحقتُ بهم من بعدِ ماسبقُوا * فكم لربِّ السّمَا في النّاسِ من فرجِ**

وإن ظللتُ بقفرِ الأرض منقطعا * فما على عرج في ذاك من حرج**

علمًا وأنّ هذا الشّرح المبسّط من الطبعات الأُوّل، وأسأل الله عزّ وجلّ، أن يغفر ما قد يشوبها من زلل، وأن يوفّقني لطبعة ثانية تخرج في أبهى الحلل، وهو الموفّق لصالح القول والعمل.

وكتبت من ربوع الدّولة الإسلاميّة

أمّ السمح القرشية

١٤٣٦ هـ

الحديث الأول:

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".** [رواه الإمامان مسلم والبخاري في صحيحيهما وهما أصح الكتب المُصنّفة].

❑ راوي الحديث:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين، مضرب المثل في العدل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم وله السقاية فيهم أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع وكانت له تجارة بين الشام والحجاز وبويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر بعهد منه.

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح مُتّفق على صحته وقد رواه الإمام أبو عبد الله البخاري في سبعة مواضع من صحيحه، ورواه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج في آخر كتاب الجهاد.

وهو حديث عظيم الموقع كثير الفوائد وأحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. وقد افتتح جماعة من أهل العلم كتبهم ومصنفاتهم بهذا الحديث العظيم ونقل جماعة أن السلف كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث تنبيها لطالب العلم على وجوب تصحيح نيته وأنه يريد بجميع أعماله الظاهرة والخفية وجه الله تعالى .

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ عن هذا الحديث :"يدخل هذا الحديث في سبعين باب من الفقه."

وقال عنه الإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهما الله :"يدخل في حديث الأعمال بالنيات ثلث العلم". ا.هـ

❑ شرح الحديث:

"إنما الأعمال بالنيات"؛ والمراد بالأعمال الأعمال الشرعية ومعناه أن الأعمال متى ما خلت من النية فلا يُعتدّ بها ، مثل الوضوء والغسل والتيمم والصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات.

والنية لغة تعني القصد وبها يتم التمييز بين العبادات ، فنميز فرضًا عن فرضٍ، أو فرضٍ عن نفلٍ، وكذلك نميز بالنية بين العبادات والعادات، كالغسل من الجنابة والغسل للتبرد مثلا.

والنية لا يُتلفظ بها بل يكفي استحضارها في القلب، أما تلفظ المسلم في الحج أو العمرة بقوله: "اللهم لبيك حجًّا أو اللهم لبيك عمرةً" كما ثبت في السنة، فهو دخول في العبادة بمثابة تكبيرة الإحرام للصلاة.

وتنقسم الأعمال إلى ثلاثة أقسام:

١. **أعمال اللسان:** النطق من ذكر وتلاوة وما إلى ذلك.
٢. **أعمال البدن:** وتُعرف بأعمال الجوارح كالصلاة والصيام والحج والجهاد .
٣. **أعمال القلب:** وهي ما ينعقد عليه القلب من عقائد كالإخلاص والخوف والرجاء.

وقد قال العلماء: "إن هذا الحديث يدخل بين العادة والعبادة فيُصيّر العادة عبادةً". ا.هـ

فعلى سبيل المثال لو نام المرء للقيلولة ينوي بها التقوّي على قيام الليل، لكان نومه عبادة يُؤجر عليها، كذلك لو أكل وشرب ليقوى على الجهاد والرباط في سبيل الله لكان أكله وشربه عبادة.

إذن فكل عمل بنية، فإذا صلحت النية صلح العمل وإن لم يوصلنا إلى الغاية المنشودة منه، وإذا فسدت النية فسد العمل وإن أوصلنا إلى الغاية المنشودة منه، فما ينفعك بين يدي الله أن تتصدق في الدنيا ليقال كريم؟ أو تجاهد ليقال شجاع؟ أو تطلب العلم ليقال عالم؟

"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"؛ والهجرة لغة: من الهجر: الترك؛ البعد والافتراق.

واصطلاحًا تعني : الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام كهجرة النبي ﷺ وصحابته من مكة إلى المدينة.

وقد تطلق مجازا ويراد بها الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن كهجرة الصحابة من مكة إلى الحبشة، أو من دار المعصية إلى دار الطاعة كما جاء في حديث قاتل المائة نفس.

"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"؛ أي من كانت هجرته إلى الله ورسوله قصدًا فهجرته إلى الله ورسوله أجرًا وثوابًا، من كانت هجرته إلى الله ورسوله قصدًا واحتسابًا وصدقًا فهجرته إلى الله فعلًا وجزاؤه على الله سبحانه وتعالى.

ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها؛ كتجارة أو امرأة ينكحها أي يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، وإن قال قائل: **"وهل الهجرة للتجارة أو الزواج محرمة؟"**، نقول لا،

ولكن على من يهاجر في سبيل ذلك أن يعلنها صراحة فلا يهاجر في إطار الهجرة لله ورسوله بينما يبطن في نيته دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها.

"**فهجرته إلى ما هاجر إليه**"؛ هنا لم يذكر النبي ﷺ ما طلبه هذا المهاجر بلفظه كما فعل في الشق الأول من حديثه عن الهجرة حيث قال :" فهجرته إلى الله ورسوله"، فنستشفُّ من ذلك تحقيرًا واستهانةً بهذه الدنيا ومطالبها.

❑ **الفوائد:**

- لا عمل إلا بنية.
- الثواب على العمل على حسب نية العامل.
- فضل وعظم الهجرة في سبيل الله ولذلك ضرب النبي ﷺ بها مثلًا في هذا الحديث.
- العمل قد يتحول من عادة إلى عبادة فيصبح طاعة لله يُثابُ عليها ويُؤجر فيأكل العبد ويشرب مثلًا ونيته التقوي على العبادات.
- العمل قد يكون لعبد ثوابًا ولغيره حرمانًا.

الحديث الثاني:

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا قال: بينما نحن جلوس عند رسـول الله ﷺ ذات يـوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليـه أثـر السـفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيـه ووضـع كفيـه عـلى فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصـوم رمضـان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت.

فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليـوم الآخـر، وتـؤمن بالقـدر خيره وشره"، قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان.

قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

قال: فأخبرني عن الساعة.

قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل".

قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال: "يا عمر، أتدري من السائل؟ "، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم ديـنكم" [رواه مسلم].

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح اتفق الإمامان البخاري ومسلم على إخراجه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو أول حديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان.

وهذا الحديث ؛ حديث عظيم لاشتماله على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة ويشتمل على شرح الدين كله، وإن كانت الفاتحة قد سُمّيت أم القرآن لجمعها معاني القرآن، فإن هذا الحديث يراه بعض أهل العلم كالأم للسُّنّة.

❑ شرح الحديث:

"**شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر**"؛ هكذا دخل جبريل –عليه السلام– على النبي ﷺ، نظيفًا حسن الثياب والمظهر وهكذا يُستحب الدخول على أهل العلم والفضل ، فجبريل أتى معلمًا للناس بحاله ومقاله.

وفي هذا الحديث دليل على أن الملائكة قد تأتي على هيئة البشر والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها قدوم جبريل على مريم –عليهما السلام–، وقدوم الملائكة على إبراهيم ولوط – على نبينا وعليهما الصلاة والسلام–، وكل ذلك بقدرة الله عز وجل.

ثم إن جبريل بقدومه وجلوسه بين يدي النبي ﷺ قد بين لنا بعض آداب طلبة العلم مع معلمهم.

"**وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : "الإسلام أن** ..." ؛ فسر النبي ﷺ الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة قولًا وعملًا وأولها الشهادتان وهي من عمل اللسان، ثم الصلاة والزكاة والصوم والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

وهذه الأعمال الظاهرة تنقسم بدورها إلى عمل بدني كالصلاة والصوم، وعمل مالي كالزكاة وعمل مركب من السابقين كالحج فهو عمل بدني ومالي.

"**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**"؛ شهادتان متلازمتان ولازمتان لكل الإنس والجن منذ بُعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبهما يدخل العبد في دين الإسلام.

* **لا إله إلا الله** : أي لا معبود بحق إلا الله وتقوم هذه الشهادة على النفي "لا إله" والإثبات "إلا الله"، لا إله إلا الله ننفي بها العبادة عن كل ما سوى الله تعالى، وإلا الله نثبت بها العبادة لله وحده.

* **وأن محمدا رسول الله** : أي محبته وطاعته في جميع ما أمر والانتهاء عن جميع ما نهى عنه وزجر، وتصديق جميع ما به أخبر وأن يُعبد الله وفق ما جاء به من الحق والهدى.

أما باقي الأركان التي بُني عليها الإسلام فسأعرضها مفصلة أثناء شرح الحديث الثالث بعون الله تعالى.

"**قال صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه**"؛ ووجه تعجب الصحابة رضوان الله عليهم- هنا أن السائل عادةً يكون جاهلًا بالجواب ولكن جبريل بدا عالمًا به ومن هنا قد نستشف فائدة جليلة وهي أن طالب العلم قد يكون عالمًا بالإجابة ولكنه يسأل شيخه ليجيبه فيعلم غيره من الحضور تلك المعلومة فتعمّ الفائدة بإذن الله تعالى.

"**قال: فأخبرني عن الإيمان. قال : أن تؤمن بالله ...**"؛ فسّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان بالأعمال الباطنة.

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهذه هي أصول الإيمان الستة، وأولها الإيمان بالله تعالى وهو أساس الإيمان بكل ما يجب الإيمان به ومن لم يؤمن بالله أولا لن يأتي ببقية الأصول.

وأن تؤمن بالله هو أن توحده بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فأقسام التوحيد ثلاثة :

١. **توحيد الربوبية** : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير وكل الأمور الكونية، أي توحيد الله تعالى بأفعاله.
٢. **توحيد الألوهية** : توحيد الله سبحانه بأفعال العباد كالدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء والذبح والنذر والاستعاذة، وهذه العبادات جميعها يُحرم أن يُصرف شيء منها لغير الله تعالى.
٣. **توحيد الأسماء والصفات** : وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له نبيه ﷺ دون تكييف أو تمثيل أو تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله. فالله تعالى له سمع ولكن ليس كالأسماع وله بصر ولكن ليس كالأبصار ... إلخ.

ثم الإيمان بالملائكة وأنهم خلق من خلق الله تعالى ، خُلقوا من نور كما أخبر بذلك النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه مسلم إذ قال عليه الصلاة والسلام : " خُلقت الملائكة من نور ... "، ولهم أجنحة.

والملائكة منهم الموكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بالجنة، والموكَّلون بالنار ... إلخ. وإن كانوا لم يُذكروا جميعهم بالاسم في القرآن ولا في السنة، إلا أننا مُكلفون بالإيمان بهم، من ذُكر منهم ومن لم يُذكر.

ثم الإيمان بالكتب والتصديق والإقرار بكل كتاب أنزله الله على أنبيائه ورسله، وأنها مُنزّلة وغير مخلوقة، وأن منها ما سُمّي كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ومنها ما لم يُسمَّ والواجب على المسلم الإيمان بها كلها، والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله بحفظه ولم يُحرّف.

والإيمان بالرسل وأن الله سبحانه قد اصطفى بشرًا أخيارًا فأرسلهم على عباده ليهدوهم سواء السبيل ويخرجوهم من الظلمات إلى النور وقد قال عز وجل: {**اللَّهُ يَصطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِن النَّاسِ** }، وإن كان للإنس أنبياء ورُسل فللجنِّ النُّذُر.

والرسل الذين ذُكرُوا في القرآن خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر ورد ذكرهم في سورة الأنعام عدا سبعة، هم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم.

ثم الإيمان باليوم الآخر أي الإقرار بأن هناك حياةً بعد الموتِ وبعثًا ، وأن الله تعالى قد جعلَ الدور دارين ؛ الدنيا والآخرة يفصل بينهما الموت، وفي الإيمان باليوم الآخر إيمان بالبعث والحشر والشفاعة والحوض والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

أما الإيمانُ بالقدرِ خيره وشرّه فهو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى قد علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلا قبل إيجادها ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح المحفوظ قبل إحداثها.

" قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ؛ فمراتب الدين ثلاثة ؛ أدناها الإسلام وأوسطها الإيمان وأعلاها الإحسان . وأن تعبد الله كأنك تراه أي أن تستحضر قربه تعالى وأنك بين يديه فتخشاه وتهابه وتعظمه وهكذا تأتي عبادتك له كأحسن ما تكون العبادة.

"**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"؛ أي إذا شقَّ عليك أيها العبد أن تعبد الله كأنك تـراه ، فاعلم يقينا أنه يراك لا تخفاه منك خافية، فاتق الله مـا اسـتطعت واستشـعر اطلاعـه عليك ومراقبته لك.

" **قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السـائلِ**"؛ دليـل على أن علم الساعة قد استأثر به الله تعالى في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه أحدًا من البشر.

" **قال : فأخبرني عن أماراتها** "؛ أي علاماتها التي تدل عـلى اقترابهـا، وقـد ذكـر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا علامتين؛ "**أن تلد الأمـة ربتهـا** " أي سـيدتها وفيـه إشارة إلى زمن يكثر فيه الفتوحات والسبي والرقيق ، "**وأن ترى الحفـاة العـراة العالـة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**" وقد قيل هم أهل البادية وأشباههم من أهـل الحاجـة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتطاولوا في البنيان .

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يتطاولون في البنيان دليـل عـلى ذم التبـاهي والتفـاخر خصوصًا بالتطاول في البنيـان ، ولم يكـن إطالـة البنيـان معروفـًا في زمـن النبـي ﷺ وأصحابه بل كان بنيانهم قصيرًا بقدر الحاجة."

❑ **الفوائد:**

- أن السائل قد يسأل وهو يعلم الإجابة حتى يتعلم من حوله وتعم الفائدة.
- أن الملائكة والتي هي مخلوقة من نور، قد تتحول عن خلقتها وتـأتي إلى البشرـ على هيئة الآدميين.
- بيان آداب طالب العلم مع معلمه.
- إذا اجتمـع الإسـلام والإيـمان فيفسرـ الإسـلام بـالأمور الظـاهرة والإيـمان بالأمور الباطنة.

- البدء بتفسير الأهم فالأهم فتدرج صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير الإسلام فبدأ بالشهادتين وكذلك في تفسير الإيمان بدأ بالإيمان بالله.
- أركان الإسلام خمسة وأركان الإيمان ستة.
- الإيمان بأركان الإيمان من جملة الإيمان بالغيب.
- الدين مراتب متفاوتة ؛ الإسلام والإيمان والإحسان.
- الإحسان أعلى مراتب الدين.
- علم الساعة لا يعلمه إلا الله.
- عدم التحرج من عدم العلم فنقول إذا غابت عنا الإجابة : لا نعلم.

الحديث الثالث :

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". رواه البخاري ومسلم.

❑ راوي الحديث:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي؛ أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه ولم يحتلم بعد، وأول غزواته الخندق وهو ممن بايع تحت الشجرة.

روى علمًا كثيرًا نافعًا عن النبي ﷺ وعن أبيه وأبي بكر وعثمان وعلي وبلال وصهيب وعامر بن ربيعة وزيد بن ثابت وابن مسعود وعثمان بن طلحة وحفصة أخته وعائشة وغيرهم.

ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ أنه أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وهو أحد الساردين للصوم أي الذين يصومون الدهر، وهم:

عبد الله بن عمر ووالده عمر بن الخطاب وعائشة وأبو طلحة وحمزة.

❑ التعليق على الحديث:

هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده لأنه قد جمع أركانه.

فالإسلام قد شُبّه هنا بالبناء وهذه الأركان والدعائم لبنيانه، فلا يمكن أن يثبت البنيان بدونها، فإذا نقص منها شيءٌ يزول الإسلام .

وقد انحصر الإسلام في هذه الخمسة المذكورة لأن العبادة إما قولية وهي بالشهادتين، وغير قولية وغير القولية تكون إما روحية وهي الصوم وإما فعلية وهي الصلاة وإما مالية وهي الزكاة وإما مركبة منهما وهي الحج.

❑ شرح الحديث:

لقد تقدم الكلام حول الشهادتين، ومن أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ الصلاة، ولأنها أفضل الأركان بعد إسلام المرء وأفضل العبادات البدنية، فقد ذكرها النبي ﷺ بعد الشهادتين. وقد اختلف أهل العلم في حكم تارك الصلاة غير أن القول الراجح أن تاركها يكفر –سواء جحد وجوبها أو لم يجحد– وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن من ترك الصلاة يكفر، ففي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

قال أيوب السختياني: "ترك الصلاة كفر لا يُختلف فيه."

أما باقي هذه المباني الأربع التي بني عليها الإسلام أي الزكاة والصوم والحج، فقد اختلف أهل العلم في حكم تاركها والراجح أنه لا يكفر إلا متى جحدها وأنكرها والله أعلم.

هذه مسألة، ومسألة أخرى هي ترك المباني الأربع مجتمعة وهي كفر بالإجماع كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره.

والصلاة عمود الإسلام كما أخبر بذلك النبي ﷺ معاذ بن جبل، وفضائلها على العبد كثيرة إذ تنهاه عن المنكرات، وتكفر عنه الخطيئات، وترفع له الدرجات، وتقضي له الحاجات.

ثم يأتي الركن الثالث وهو الزكاة؛ والزكاة عبادة مالية يؤديها المسلم الذي بلغ ماله النصاب، والنصاب من المال القدر الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغه. ولم ترد الزكاة في موضع من كتاب الله تعالى إلا وجاءت مقرونة بالصلاة والآيات الدالة على ذلك كثيرة.

وقد ذكر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أن ثلاثة قد قرنت بثلاثة: طاعة الله والرسول فقد قال تعالى: {**وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُون**}، والشكر لله وللوالدين، قال تعالى: {**أَن اشكُر لِي وَلِوَالِدَيكَ إِلَيَّ المَصِير**}، والصلاة والزكاة، قال تعالى: {**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاركَعُوا مَعَ الرَّاكِعِين**} .

وقد قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من امتنع عن آداء فريضة الزكاة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القبائل التي ارتدت عن الإسلام برفضها آداء هذه الشريعة، وقال الصديق: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ."

وخاض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حروبًا ضروسًا خلدها التاريخ سُمّيت بحروب الردة.

والصلاة حق الله سبحانه أما الزكاة فهي حق عباده. وهي تطهر صاحبها من الذنوب والخطايا مصداقًا لقول الحق سبحانه: {**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}، وقد حذر الله المقصرين في إخراج الزكاة وتوعدهم بعذاب شديد في الآخرة فقال جل جلاله: {**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**} .

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "كل مال تؤدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا، وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز وإن لم يكن مدفونا."

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واصفًا عذاب المقصرين في إخراج الزكاة: "لا يُوضع دينارٌ على دينارٍ ودرهمٌ على درهمٍ، ولكن يُوسّعُ له حتّى يُوضع كلُّ درهمٍ ودينارٍ في موضع على حِده."

وهنا قد يتساءل البعض لم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالكيّ؟!

الجواب أن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير مقبلًا عليه قبض جبهته ووارى ما بين عينيه وعبس بوجهه في وجه الفقير، فإذا ألح عليه جنّبه إليه معرضًا عنه، فإذا وقف ولم يبرح أعطاه وتركه وانصرف.

أما الصوم فهو عبادة بدنية كما تقدم ذكره وهو بين العبد وربه إذ قد يصوم المرء النفل فلا يعلم بصيامه أحد وقد يُفطر في رمضان والناس صائمون فلا يعلم بذلك غير الله عز وجل ولذلك قال سبحانه في الحديث القدسي: "إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به."

وتبقى الأعمال كلها لله عز وجل ولكن خُص الصوم بالذكر في هذا الحديث لما فيه من الخفاء والسرية بين الله وعبده.

ثم يأتي الحج وهو عبادة مالية وبدنية وجبت على المسلم المقتدر في العمر مرة واحدة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: ٩٧ ، وهنا دليل على فرضية الحج وعظيم حرمته لدى الله سبحانه، ولا يحل للمسلم القادر المستطيع المعافى أن يؤخر فريضة الحج بل عليه أن يسارع في آدائها لأنه لا يعلم ما قد يحل به بعد ذلك، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "تعجلوا إلى الحج، يعني الفريضة ، فإن أحدكم لا يعرف ما يَعرض له."

والحج من العبادات التي يكفر بها الله تعالى الكبائر كالتوبة والشهادة والحد، وقد رغّب النبي ﷺ أمته في آداء هذه الفريضة العظيمة، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: " سُئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور." [رواه البخاري ومسلم].

والحج المبرور هو الذي يُؤديه العبد كما أداه النبي ﷺ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال، وجزاؤه الجنة لقول النبي ﷺ : "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة."

كما أن الحج جهاد الضعيف والمرأة؛ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: " قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال لا؛ لكن أفضل الجهاد حج مبرور." [رواه البخاري]

وقد يتساءل البعض لِمَ لم يُذكر الجهاد من بين دعائم الإسلام هذه رغم أهميته العظيمة؟ فنقول: لأن هذه الأركان فرض دائم متعين على كل مسلم أما الجهاد فهو من فروض الكفايات التي تسقط أحيانا.

❑ الفوائد:

- مدى أهمية هذه الخمس لكون الإسلام قد بُني عليها .
- مما دأب عليه النبي ﷺ تشبيه الأمور المعنوية بالحسية ليسهل تقريرها في ذهن المُخاطب كما شبه هنا الإسلام بالمبنى .
- البدء بالأهم فالأهم.
- الشهادتان متلازمتان لازمتان فلا يُقبل عمل إلا إذا بُني عليهما.

الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي؛ وهو من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، وقد شهد بدرًا مع النبي ﷺ ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من تاريخ الهجرة النبوية الشريفة، وهو ابن بضع وستين سنة.

روى أبو البختري أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل له: أخبرنا عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال: عمن تسألوني؟ قالوا: عن عبد الله، قال: "علم القرآن والسنة." (طبقات الفقهاء).

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "والله ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ وأين نزلت؟ ومتى نزلت؟ ولو أني أعلم رجلاً أعلم بذلك مني تصله المطية لرحلت إليه".

❑ التعليق على الحديث:

هذا الحديث متفق عليه وقد خرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

بدأ الراوي الحديث فوصف النبي ﷺ بالصادق المصدوق وكأنما ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد تنبيه السامع إلى صفة الصدق التي عُهدت عن النبي من قبل البعث حتى، وشد الانتباه إلى أن ما سيُذكر في هذا الحديث أمور عظيمة ذات بال، فهي من الغيبيات التي لا تُعرف إلا عن طريق الوحي ولا يقولها غير نبي مرسل.

فنبينا ﷺ، صادق فيما أخبر به، ومصدوق فيما أوحي إليه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤

- شرح الحديث:

"إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفةً"؛ فالرجل متى ما أتى زوجه وأنزل في رحمها ماؤه كان ذلك الماء متفرقا فيجمعه الله بقدرته ويُقال أن هذه النطفة تُجمع من جميع جسم الرجل، والنطفة هي الماء القليل الخالص، تقع في رحم المرأة فتمكث أربعين يومًا ثم تكون علقة، ومنها يُخلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ الطارق: ٦

"ثم يكون علقة مثل ذلك"؛ قال أهل التفسير أن العلقة عبارة عن قطعة دم متجمدة، أما أهل الطب وعلماء الأجنة فقد خالفوهم في ذلك وقالوا أن الجنين ومنذ أن كان نطفة لا يمر خلال نموه أبدا بمرحلة يتجمد فيها بل سُميت علقة لأن الجنين وهو نطفة وبعد الأربعين يوما يتعلق بجدار الرحم. والله أعلم.

"ثم يكون مُضغة مثل ذلك"؛ والمُضغة قطعة من لحم قدرها العلماء بمقدار ما يُمضغ في الفم.

إذن فهذه ثلاثة أطوار يمر بها تكوّن الجنين قبل أن تُنفخ فيه الروح، وإذا جمعناها كانت مائة وعشرين يومًا. يكون في الأربعين الأولى نُطفة وفي الأربعين الثانية علقة ثم تكون الأربعون الثالثة وهي طور المُضغة.

ولقد خالف بعض علماء الحديث في تحديد هذه المدة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ الحج: ٥

"**ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات**"؛ ملك مُوكل بالأرحام يرسله رب العالمين إلى الجنين بعد مائة وعشرين يومًا، فينفخ فيه الروح وهي التي بها يحيا الإنسان وقد سُئل عنها النبي ﷺ فأوحى إليه ربه: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ ، فيكتب عليه أربع كلمات هي من القضاء والقدر؛ رزقه أكثير أم قليل وهل سيكون حلالًا أو حرامًا، أجله؛ أطويل أم قصير، عمله؛ أصالح أم فاسد، وشقي أو سعيد؛ أي نهايته كيف ستكون؟ أمن أهل الجنة هو وتلك هي السعادة أم من أهل النار وذلك عين الشقاء، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾

" **فوالله الذي لا إله غيره** "؛ ها هو خليل الله ﷺ يُقسم بالله ، وهو الصادق المصدوق كما تقدم في هذا الحديث وكما تقرر في ذهن كل مسلم آمن به وبرسالته،

يقسم قسمًا مؤكدًا بالتوحيد " الله الذي لا إله غيره " فيثبت له وحده العبودية وينفيها عمن وعما سواه.

" **إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** "؛ أي إن المسلم ليعمل طيلة حياته بالصالحات من الأعمال فيظهر ذلك للناس فيظنونه من أهل الجنة، حتى تدنو ساعته ويقترب أجله والذراع هنا أريد به التمثيل للدلالة على اقتراب الموت، "فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"، يتغير عمل المرء هنا فيدع ما كان عليه من الصلاح والتقوى ويأتي بأعمال أهل الفساد والهوى فيهوي وتحين ساعته وهو على ما هو عليه من ضلال بعد ما كان عليه من هدى، فتسوء خاتمته ويهوي بنفسه في دركات جهنم والعياذ بالله، ولعل هذا التحول في العمل يكون سببه دسيسة في قلب هذا العبد، أو سوء طوية.

ولذلك فحري بالمسلم أن يداوم على سؤال الله سبحانه الثبات على الحق والطاعات، وإن كان النبي ﷺ وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يدعو ربه كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: "**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.**"، فحريّ بنا نحن أن لا تفتر ألسنتنا عن ترديد هذا الدعاء النبوي العظيم والحي لا تُؤمن عليه الفتنة حتى يُوارى الثرى، وأن لا نغتر بما نحن عليه من صلاح –إن كنا كذلك– ، وحال المؤمن دائما بين رجاء وخوف.

وهاهم السلف الصالح رحمات الله عليهم؛ وهم أكثر منا ورعا وتقوى وصلاحا وبعدا عن الحرام واتقاء للشبهات وخشية من الله تعالى، تجد أحدهم إذا ذكر الموت اصفر لونه واخضبت لحيته بالدموع خوفا من سوء الخاتمة!

وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبكي ويقول: "أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا" (حلية الأولياء، ٧ / ٥١)، **ويبكي ويقول:** "أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت."

وقد خرّج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو: سمع رسول الله ﷺ يقول : " إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء "، ثم قال ﷺ : " **اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.**"

"**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** "؛ هذا العبد حاله يختلف عن العبد الأول، فالأول حسن عمله في الدنيا حتى اقترب أجله فتغير حاله وعمل بعمل أهل النار وساءت خاتمته، أما هذا فقد ساءت بداياته وفسد عمله فظهر للناس منه ما يدل على هلاكه في الآخرة، ولكن مع اقتراب أجله تغير حاله ومآله، إذ عمل بأعمال لا يأتي بها إلا أهل الجنة فكان منهم، ولعل تغير الحال هذا سببه خبيئة كانت بين هذا العبد وربه لم يطلع عليها الناس، وحسن طوية.

❑ الفوائد:

- الإنسان يُخلق في بطن أمه فيمر بأطوار أثناء نموه والله تعالى قادر على خلقه مرة واحدة ولكن رحمة منه بالأم.
- الروح تُنفخ في الجنين بعد مائة وعشرين يوما –على خلاف بين أهل العلم-.
- وجوب الإيمان بالقدر وهو سادس أصل من أصول الإيمان.
- قد يقسم المرء دون أن يُستحلف من أحد تأكيدا منه لصدق ما سيقول ولطمأنة المستمع.
- الأعمال سبب دخول الجنة أو النار والأعمال بالخواتيم.

- حال المؤمن دائما بين خوف ورجاء، فالمحسن لا يجب أن يأمن سوء الخاتمة، والمسيء يجب أن لا يقنط من رحمة الله تعالى.
- أن الناس غير مخولين بالحكم على مسلم مات بالجنة أو النار، فمن رأوه صالحا في الدنيا قد يكون من أهل النار، وكذا من رأوه فاجرا قد يكون من أهل الجنة.
- يستحب للإنسان أن يُقدم بمقدمة مناسبة لما سيلقيه من كلام.

الحديث الخامس:

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد." [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

هي العفيفة الصديقة، الطاهرة المطهرة، الفقيهة العالمة، عائشة بنت أبي بكر الصديق، أُمُّ المؤمنين، تُكْنَى أُمَّ عبد الله، وأُمُّها أُمَّ رومان بنت عامر.

تَزَوَّجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين وقيل: بثلاث وقيل: بسنة ونصف، أو نحو ذلك، وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة بعد مُنْصَرفه من وقعة بَدْر في شَوَّال سنة اثنتين من الهجرة. روت عن: النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير حتى قيل عنها أنها حملت للأمة ثلث العلم.

قال أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ «فَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه البخاري.

وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: ما أشكل علينا أصحاب محمد حديثٌ قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً.

وقال أبو الضُّحي عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض.

قال الشَّعبيُّ: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصادقة بنت الصديق، حَبيبة حبيب الله المُبَرَّأة من فوق سبع سماوات.

وقال الزُّهريُّ: لو جُمع عِلْمُ عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان عِلْمُ عائشة أفضل.

ومناقبها كثيرة جِدًّاً وجَمَّة، وحُبُّها وحُبُّ أبيها وزوجها على الناس فرض.

توفيت سنة ٥٧هـ، وقال غيره: سنة ٥٨هـ، في رمضان، وقيل: في شوال، وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بعد الوتر بالبقيع، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

❑ التعليق على الحديث:

هذا الحديث رواه الإمامان البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد.)

وهو من الأحاديث التي قيل إن الدين يدور عليها ومن جوامع الكلم، (أي أنه ﷺ يجمع معنى كبيرًا جدا في كلمات قليلة جدا)، وهو أصل في وزن الأعمال الظاهرة كما أن حديث (إنما الأعمال بالنيات) أصل في وزن الأعمال الباطنة.

فإن كان العمل الذي فسدت نية صاحبه ولم يرد به وجه الله تعالى لا يُثاب عليه، فكذلك كل عمل لا يوافق الشرع ولم يثبت عن النبي ﷺ فهو مردود على صاحبه، وبهذا الحديث يُرد على كل صاحب مُحدثة أو بدعة في دين الله، فمتى ما جاءت هذه الأعمال الظاهرة موافقة لما أتى به النبي ﷺ فهي معتبرة يُعتدُّ بها، أما إذا خالفت ما أتى به فلا تكون من السنة ولا يُعتبر بها وتُرد على صاحبها.

❑ شرح الحديث:

"**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**"؛ المقصود بالأمر هنا الدين والشرع.

الحَدَثُ: الأَمر الحادِث المُنْكَر الذي لَيس بمعتادٍ، وَلَا مَعرُوفٍ فِي السُّنَّة، "**ما ليس منه فهو رد**" أي أتى ببدعة ولم يكن عمله تحت أحكام الشرع بل جاء مخالفا له، فعمله حينها يكون مردودًا أما إذا جاء موافقًا للشريعة وأحكامها فيكون مقبولًا. فكل أعمال المكلفين كالوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصوم والحج يجب أن تطابق ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ الحشر: ٧

ولكن ما الذي قد يُحدثه المرء في أمور الدين؟ قد يتعبد خلاف ما جاء به النبي ﷺ فيحدث بذلك محدثات هي ضلالة ومهلكات، وقد حذر النبي من ذلك كما في حديث العرباض بن سارية إذ قال ﷺ : "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"، وكم سمعنا ونسمع في أيامنا عن البدعة الحسنة، فلان ابتدع بدعة حسنة! وهل فلان هذا أفضل وأفهم من سيد الخلق بأبي هو وأمي في أمور الدين حتى يزيد على ما أتى به؟ معاذ الله! ومن مثل محمد ﷺ !؟

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "من سن سنة وظن أنها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: ٣

والمحدثات قد تكون في العبادات أو ما يُسمى في فقه المتأخرين بالمعاملات، إذن فكل من جاء بعبادة جديدة أو زاد على ما كان عليه النبي أو بتر، فقد أحدث في الدين،

كذلك إذا أحدث في أمور المعاملات كالعقود وغيرها، فيجعل مثلًا حد الزاني عقوبة مالية، فهذا مردود عليه، ودليلنا على ذلك رد النبي ﷺ على الذي سأله: إن ابني كان عسيفا على فلان، فزنى بامرأته، فافتديتُ منه بمئة شاة وخادم، فقال النبي ﷺ : "المئة شاة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام." [أخرجه الإمام مالك في موطّئه].

ولكن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو أمير المؤمنين، رأى الناس يصلون في رمضان مجموعات فجمعهم على إمام واحد وقال: " نعمت البدعة"! فهل يعني هذا أننا نرد ما فعله الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ؟

لا، لأنّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه أحيى أمرا فعله النبي ﷺ ثم تركه مخافة أن يُفرض، ولم يخالف به نصا أو سنة بل عوضا من أن يترك الناس أشتاتا جمعهم على إمام واحد، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: "فكل ما وجد بعد زمن رسول الله والخلفاء الراشدين نقيسه على ميزان الشريعة، فإن وافق أصلاً فيها فهو حسن، وهو إحياء لسنة مماتة، وإن خالف فيها الشرع المعلوم بالكتاب والسنة رددناها على صاحبها." كذلك المصحف الكريم لم يُجمع إلا بعد وفاة النبي في عهد أبي بكر بعد أن أشار عليه الفاروق بذلك ووافقه، فهل نقول أن هذا من البدع المحدثة؟! لا طبعا، كذلك تدوين العلوم كاللغة والنحو وغيرها، وهذا ما يُعرف في كتب أصول الفقه بـ "المصلحة المرسلة".

❑ الفوائد:

- تحريم الابتداع في دين الله جملة وتفصيلا.
- كل عمل يُبنى على بدعة فهو مردود على صاحبه لا قبول له ولا اعتبار.
- كل عمل صالح يُؤتى به على غير الوجه المشروع فهو باطل.

الحديث السادس:

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب " [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

الأَمِيرُ، العَالِمُ، صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ وَابْنُ صَاحِبِهِ، أَبُو عَبْدِ الله وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ الله بنِ رَوَاحَةَ، روى مائَةٌ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيثا، اتَّفَقَا لَهُ الشيخانِ عَلَى خَمْسَةٍ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بحديثٍ، وَمُسْلِمٌ بِأَرْبَعَةٍ.

شَهِدَ أَبُوْهُ بَدْرا، وَوُلِدَ النُّعْمَانُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ، وَسَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّبْيَانِ بِاتِّفَاقٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُه مُحَمَّدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَحُمَيْدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، وَأَبُو سَلاَّمٍ مَمْطُوْرٌ، وَسِمَاكُ بنُ حَرْبٍ، وَسَالِمُ بنُ أَبِي الجَعْدِ، وَأَبُو قِلاَبَةَ،وَكَانَ مِنْ أُمَرَاءِ مُعَاوِيَةَ، فَوَلاَّهُ الكُوْفَةَ مُدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ دِمَشْقَ بَعْدَ فَضَالَةَ، ثُمَّ وَلِيَ إِمْرَةَ حِمْصَ.

قَالَ البُخَارِيُّ: وُلِدَ عَامَ الهِجْرَةِ.

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم ذو فوائد جمّة، من الأحاديث التي قال العلماء أن مدار الإسلام عليها، ففيه سيتحدث النبي ﷺ عن الحلال والحرام وما اشتبه على الناس بينهما، وفيه سيبين عظم منزلة القلب عن سائر الأعضاء، فهو الملك ذو السلطان والأعضاء رعيته، إن صلح صلحت هذه الرعية وإن فسد فسدت.

❑ شرح الحديث:

"**إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات**"؛ تنقسم الأشياء في حياة المسلم من حيث الحِلّ والحرمة **إلى ثلاثة أقسام**:

أولًا: الحلال البيّن، والبيّن من الأمر هو ما وضُح منه وبان، والحلال البيّن هو ما عرف الناس أنه حلال لا تشوبه شائبة كالزروع والحبوب والثمار وبهيمة الأنعام وغيرها مما تبين للناس حلّها طبعًا إذا وصلتهم بالطرق المشروعة التي لا غبار عليها أما من سرقها أو أخذها من الناس غصبًا، فهذه تصبح حرامًا دون شك.

ثانيًا: الحرام البيّن وهو ما عرف الناس أنه حرام ولم يختلفوا في تحريمه كالزنا وشرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير وما إلى ذلك مما حرمه الله على عباده فبدت حرمته واضحة جلية لهم لا تشوبها شائبة.

ومن هنا يتضح أن هذين قسمين لا إشكال فيهما وهما الحلال البيّن والحرام البيّن.

أما القسم الثالث الذي ذكره النبي ﷺ وقد يستشكل على الناس فهو "**الأمور المشتبهات**" والتي لا يعلمهن كثير من الناس كما قال ﷺ .

وهذه الأمور المذكورة هي التي وبسبب وقوعها بين الحلال والحرام استشكل على الناس فهمها وتبيّنها إذ أنها قد تكون حلالًا وقد تكون حرامًا، ومتى ما عجز المسلم الذي يفتقد إلى دليل شرعيّ -لأن هناك من تكون لديه الأدلة على الحل والحرمة في هذه الأمور المُشتبهات والنبي ﷺ قال: "لا يعلمهن كثير من الناس" ولم يقل كل الناس- إذن فإذا لم يكن المرء صاحب دليل يمكنه من وضعها في خانة الحلال أو الحرام، فعليه حينها أن يبتعد عن إتيانها والوقوع فيها تورّعًا وحيطةً وسندنا في ذلك حديث: "دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أحكام الشريعة، ومن معاني القرآن، ما هو بين واضح ليس فيه شبهة ولا يعذر أحد بجهله، سواء كان في الأوامر أو كان في النواهي، وتفسيره تلاوته، وذلك مثل قوله تعالى: {**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**} [البقرة:٤٣] ، وقوله: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**} [البقرة:١٨٣] ، وقوله: {**وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**} [آل عمران:٩٧] ، فكل هذا من الأمور الواضحة، وكذلك في المحرمات قوله: {**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ**} [المائدة:٣] ، وقوله: {**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ**} [المائدة:٤]، فهذا بين واضح لا لبس فيه، وقوله: {**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**} [البقرة:٥٧]، وقوله: {**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**} [الملك:١٥]، فالحلال واضح بين لا شبهة فيه، والحرام واضح بين لا شبهة فيه، ومثل قوله: {**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى**} [الإسراء:٣٢]، وقوله: {**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**} [الإسراء:٣٣]، وقوله: {**لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**} [الحجرات:١٢]، فهذا حرام بيّن.

إذن؛ بعض الأمور مشتبه، تدور بين الحلال والحرام، ولا يعلم هذا المشتبه كثير من الناس.

"**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**"؛ أي فمن ترك الشبهات وما يريبه من الأمور التي لا يعلم أحلال هي أم حرام، وتجنبها فقد سلم دينه فيما بينه وبين الله، وسلم عرضه فيما بينه وبين الناس لأن المرء إذا ارتكب هذه المشتبهات قد تجره إلى الحرام فيجعل نفسه عُرضة لكلام الناس في عرضه، وترك هذه الشبهات يقيه من الوقوع في حقل الحرام.

والورع هو: أن تترك مالا بأس به خشية مما فيه بأس، تترك الشيء الذي لا بأس فيه ولا شبهة فيه مخافة أن تقع فيما فيه بأس، فمن سد الذرائع: ترك المباح مخافة الوقوع فيما ليس بمباح، وهذا هو الورع.

ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل اشترى أرضاً، فوجد فيها كنزاً، فذهب إلى الذي باعه فقال: هلم خذ كنزك، قال: إني بعتك الأرض بما فيها، قال: إني اشتريت أرضاً ولم أشتر كنزاً، قال: وأنا بعت الأرض بما فيها، وتخاصما لمن يكون الكنز الذي كان مدفوناً ولا يعلم به أحد عند البيع! فجاء رجل صالح فاختصما إليه فقال لهذا: ألك ولد ذكر؟ قال: نعم. وقال لهذا: ألك ابنة؟ قال: نعم، قال: زوجا أحدهما بالآخر، وادفعا إليهما الكنز).

وهذا من تمام الورع واتقاء الشبهات والبعد عن الحرام.

وترك الشبهة أحيانا قد يكون واجبا لا ورعا مستحبا، فالشبهة التي توقع صاحبها في الحرام تصبح في ذاتها حراما وما لا يُترك الحرام إلا بتركه فهو حرام. وهاهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه يأتيه غلامه بطعام فيأكله وما إن وصل الطعام جوفه حتى ارتابت نفسه الطاهرة، فنادى الغلام وسأله: "من أين هذا الطعام؟" فأجابه الغلام: "كنت في الجاهلية تكهنت لرجل، وأنا والله! لست بكاهن -يعني:

خدع الرجل- فلقيني الآن، وأعطاني حلواناً فاشتريت به كذا وكذا"، فوضع أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أصبعه في حلقه واستقاء ما أكله!

ومما يُروى عن الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ أن أهل بيته خبزوا عجينا في بيت رجل ماله فيه شبهة، فعلم الإمام بذلك فامتنع عن ذاك العجين، فلله در الصحب والسلف وهم يضربون للأمة روائعَ في الورع واتقاء الشبهات!

إذن فالحلال واضح بين يأتيه كل مسلم والحرام واضح بين يتقيه كل مسلم أما ما اشتبه على المرء من أمور وكان من الكثير الذين لا يعلمون كما قال النبي ﷺ : "لا يعلمهن كثير من الناس"، فيتعين عليه حينئذ ترك تلك الأمور واجتنابها وإقامة منطقة عازلة بينه وبين منطقة الشبهات لأنه إذا دخلها قد تزل قدمه ويقع في الحرام! ومن يستسهل الوقوع في الشبهات ويتجرأ عليها سيتعود الحرام حتما وسيتهاون فيه حتى يسود قلبه ولا يبقى له في نفسه أي وازع ينهاه ويخوفه، حتى يصبح يأتي الحرام وهو لا يشعر.

"**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه**"؛ كانت العرب تقيم حول مراعيها حمى، فلا يقترب من تلك الحمى أحد من الغرباء ومن يفعل يُعاقب بل وقد تقوم حروب بسبب ذلك، فالبسوس مثلا تركت ناقتها تشرب من ماء مرعى كليب فقتل ناقتها وقتله جساس واندلعت حرب دامت أربعين سنة بين بكر وتغلب!

وهنا نرى أن النبي ﷺ قد شبه أمرا معنويا بآخر محسوس كما رأينا في حديث (بني الإسلام على خمس) وقلنا أنه صلوات ربنا وسلامه عليه قد دأب على هذا الأسلوب في أحاديثه، حتى يقرب الصورة من ذهن السامع فيسهل عليه الفهم والاستيعاب.

وقد ضرب ﷺ هذا المثل ومعناه أن الراعي يجب عليه أن يبتعد قدر المستطاع من حدود حمى الملك فيضع بين قطيعه وبينها مسافة أمان تضمن له أن غنمه حتى وإن اقتربت بضعة أمتار من الحمى فلن تتجاوزها، كذلك يجب أن يكون حال المسلم مع ما اشتبه عليه من الأمور.

"ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه"؛ إذن فلكل ملك حمى والحمى ما يحميه الإنسان من أرض خصبة لا يصل إليها أحد ولا ينبغي للرعية تجاوزها ولله سبحانه حمى وهو ملك الملوك وحماه ليست كحمى البشر- بساتين ومراعي وما إلى ذلك، ولكن حمى الله سبحانه وتعالى هي محارمه، ومحارم الله الحرام البين الذي لا يجب الوقوع فيه والشبهات التي لا يعلم المرء أحلال هي أم حرام وقد تقوده إلى الوقوع في الحرام البين فينتهك حرمات الله، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام!

"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"؛ والمضغة قلنا سابقا أنها تقدر بمقدار قطعة اللحم التي يمضغها الإنسان في لقمة، وقد دلت هنا على صغر هذا العضو من الجسد ولكنها مضغة صغيرة الحجم وعليها مدار صلاح العبد من فساده. ولكن لماذا القلب تحديدا؟ لأن اتقاء الشبهات مرده التقوى، تقوى الله سبحانه وهذه التقوى مكانها القلب.

"إذا صلحت صلح الجسد كله"؛ إذا صلحت هذه المضغة التي هي القلب، فكان معافى سليمًا –صحّيًّا- ونقيًّا طاهرًا –معنويًّا-، صلح الجسد كله وما يعنينا هنا من تشبيه النبي ﷺ هو صحة وسلامة القلب عقديًّا وصفاء علاقته بالله تعالى ومتانة هذه العلاقة، ومتى ما كان ذلك صلح الجسد كله أي في جميع أعماله مع الخالق عز وجل وعباده، والقلب إما أن يكون وعاء طاعة وإيمان أو وعاء معصية وكفر.

❑ الفوائد:

- تنقسم الأشياء في الشريعة إلى حلالٍ بيّنٍ وحرامٍ بيّنٍ وأمور مشتبهة تقع بينهما.
- الأمور المشتبهة تخفى على كثير من الناس إلا الراسخون في العلم ومن امتلك دليلًا على حلها أو حرمتها.
- إذا اشتبه على المسلم أمر ما فالواجب حينها تركه استبراءً لدينه ولعرضه.
- من أساليب النبي ﷺ التي تدل على بلاغته وفصاحته استعماله تشبيه أمر معنوي بآخر حسي.
- وقوع الإنسان في المشتبهات يجره إلى الحرام البين.
- القلب سيد الأعضاء وسلطانها وصلاح باقي الأعضاء أو فسادها منوط بصلاحه أو فساده.
- إذا فسد الظاهر دل ذلك على فساد الباطن.

الحديث السابع:

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة ، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [رواه مسلم].

❑ راوي الحديث:

صَاحِبُ رَسول الله ﷺ ، أَبُو رُقَيَّةَ تميم بنُ أَوْسِ بن خَارِجَةَ بن سَوْدِ بـنِ جذيمـة اللَّخْمِيُّ، الفِلَسْطِيْنِيُّ.

وَفَدَ تَميمُ الدَّارِيُّ سَنَةَ تِسْعِ فَأَسْلَمَ، فحدَّث عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ بِقِصَّةِ الجَسَّاسَةِ فِي أَمْرِ الدَّجَّالِ، وَلِتَمِيْمٍ عِدَّةُ أَحَادِيْث، وَكَانَ عَابِدًا، تَلَّاءً لكتاب الله. وَرَوَى عَاصِمٌ الأَحْوَلُ، عَن ابن سيرين: أَن تَميا الدَّارِيَّ كَانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ فِي ركعة.

❑ التعليق على الحديث:

حديث ذو شأن عظيم، قال عنه محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين، وعن أبي داود: أن هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه.

❑ شرح الحديث:

"**الدين النصيحة**"؛ والنصيحة لغةً من نصح ينصح نصحا ونصاحة، ونقول نصحتُ العسل أي خلصته وصفيته ونقيته ونقول التوبة النصوح أي الصادقة الخالصة، والنصح من الإخلاص وهو إرادة الخير للمنصوح.

وقوله ﷺ "**الدين النصيحة**" فيه اختزال للدين في النصيحة وهذا إن دل على شيء، فيدل على عظم شأن النصيحة. وفي رواية أبي عوانة، أن النبي ﷺ أعادها ثلاثًا: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة)، وهذه زيادة في التأكيد. وكما قال

:"الدين النصيحة"، قال أيضا :" الحج عرفة" وهذا من باب التغليب والتنبيه على الأهم.

والدين هو كل ما فسره النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام، حيث عرّف الإسلام والإيمان والإحسان ثم قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". والدين شامل لكل ما يتعلق بالله عز وجل، وما يتعلق بكتابه الكريم، وما يتعلق برسوله الأمين ﷺ ، وما يتعلق بأئمة المسلمين وعامتهم.

"**قلنا لمن؟**"؛ النبي ﷺ يتحدث فيخبر بأن الدين النصيحة، والصحب الكرام كعادتهم في سعيهم لفهم كل حرف يقوله النبي وحرصهم على تعلم كل شاردة وواردة أتى بها صلوات ربي وسلامه عليه، وهاهم يسألونه لمن النصيحة يا رسول الله؟

"**قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"؛

أولاً : النصيحة للّه تعالى: وتكون بمحبته وإفراده بالتوحيد، وإخلاص النية في عبادته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاته والبراءة ممن أشرك به، وجهاد أعدائه ومن كفر به، والدعوة له سبحانه. والنصح لله قد يكون فرضًا وقد يكون نافلةً؛ فأما الفرض فهو إفراده سبحانه بالعبودية وعدم الإشراك به ووصفه وتسميته بما وصف به نفسه وسماها، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلاله، وأما النافلة في النصح لله فهي محبته أكثر من النفس حتى إذا ما عُرض على المرء أمران أحدهما لنفسه والآخر لله، بدأ بالذي لله وأخّر ما كان لنفسه.

ثانيًا: النصيحة لكتابه: أي لكتاب الله تعالى وتكون بالإيمان به، وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق، والسعي الحثيث لتدبره وفهم معانيه والعمل بما جاء فيه، وحث الناس على تعلمه ونشره.

ثالثًا: النصيحة لرسوله: أي للنبي محمد ﷺ، وتكون بالتصديق به والإيمان بنبوته، ومحبته ونصرته، وطاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه، والإستنان بسنته، والتخلق بأخلاقه، والحذر من مخالفته، والغضب على من ابتدع في ما جاء به، والإنكار على من خالف هديه، ومحبة آل بيته وصحابته، ﷺ.

رابعًا: النصيحة لأئمة المسلمين: وأئمة المسلمين هم قسمان؛ وُلاة الأمر المُولون على المسلمين، وعلماء الأمة الصادقين، وتكون النصيحة لولاة الأمر بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبيههم إن وقعوا في مخالفة، وجمع كلمة المسلمين عليهم، وتذكيرهم بالله وتقواه وتخويفهم به إن هم خالفوا أوامره.

أما النصح لأهل العلم فقد يقول قائل ولكنهم علماء الأمة النصحة للمسلمين فكيف ننصح ناصحا؟ نقول حينها أن هؤلاء بشر يجتهدون فيصيبون ويخطئون والعصمة قد دُفنت مع النبي ﷺ، والنصيحة لهؤلاء تكون بالرفق واللين وحفظ هيبتهم وإنزالهم منازلهم حتى تنشرح صدورهم للنصيحة.

خامسًا: النصيحة لعامة المسلمين: وتكون بأن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، ومحبتهم ومؤاخاتهم في الله، وترحم صغيرهم وتوقر كبيرهم، وتنصر مظلومهم، وتغيث منكوبهم، ولا تغشهم وتعلمهم أمور دينهم.

❑ **الفوائد:**

- مكانة النصيحة من الدين وأنها أساسه وعموده.
- بيان لمن تكون النصيحة والحث عليها لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

الحديث الثامن:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى." [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

سبق وأن ترجمنا راوي الحديث وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، وقلنا في بداية شرح الأربعين أن الإمام النووي عادة ما يذكر كنية الراوي قبل الاسم ثم يأتي بالاسم كاملًا، ولكن لأنه سبق وأن عرّف بالراوي في أربعينه هذه في حديث "بني الإسلام على خمس"، فقد جرده من الكنية مكتفيا بما ذكره عنه في الموطن الأول.

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح رواه الشيخان البخاري والمسلم في صحيحيهما، وهو حديث عظيم فيه سيبين النبي ﷺ بعض أحكام الجهاد وحرمة المسلم وما يعصم به دمه وماله. وقد روى هذا الحديث أنس وقال: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين".

وجاء في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بما جئت به".

❑ شرح الحديث:

"أُمرتُ أن أقاتل الناس"؛ الآمر للنبي ﷺ هو الله عز وجل فلا آمر للنبي غير ربه، ولكن إذا قال الصحابي أُمرنا أو نُهينا فيكون الآمر والناهي لهم رضي الله عنهم رسول الله ﷺ .

ويُروى في السير أن قبائل من العرب وبعد وفاة النبي ﷺ واستخلاف أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، امتنعت عن آداء الزكاة فقرر الصديق قتالهم على ذلك، فعارضه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال له: (كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا إله إلى الله وقد قال رسول الله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلى الله"؟ ...) إلى آخر الحديث، فأجابه الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (إن الزكاة حق المال وقال: والله لو منعوني عناقا - وفي رواية: عقالا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه) فأجابه الفاروق إلى ذلك.

"أمرتُ أن أقاتل الناس"؛ ومعلوم أن الأمر إذا وُجه من الله إلى رسوله فحكمه الوُجوب من حيث الأصل، وإن كان النبي ﷺ قد تحدث بصيغة المفرد "أنا"، إلا أن ذلك لا يعني أنه مُلزم بالقتال بمفرده بل إن هذا الأمر معنية به جميع أمته صلوات ربي وسلامه عليه، والمقاتلة تعني السعي إلى القتل أي السعي إلى الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، والناس هنا تعني كل ملل الكفر دون استثناء من يهود ونصارى وعباد الأوثان وكل مشرك بالله عز وجل، غير أن أهل الكتاب تم إخراجهم بنصوص أخرى جاءت بعد ذلك إذا دفعوا الجزية؛ قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩

إذن فكل كافر قد أُمر النبي ﷺ بمقاتلته إلا الشيخ والمرأة والطفل ومن أُلحق بهم، فقد كان ﷺ إذا بعث بسرية أو جيش للغزو أوصى أمير الجند فقال: "لا تقتلوا امرأة ولا طفلا ولا شيخا هرما"، ولكن متى يكون ذلك؟ إذا اعتزلوا القتال واجتنبوه.

"**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**"؛ حتى حرف قد يفيد الغاية وقد يفيد التعليل، وهنا يفيد الغاية، فهؤلاء الناس إن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أي إن نطقوا بمبناها وأقروا بمعناها، وقد سبق وشرحنا معناها في حديث جبريل عليه السلام، فإذا شهد هؤلاء الكفار بالشهادتين يتوقف القتال في حقهم، وقد تكون شهادة أحدهم بلسانه دون قلبه وهنا نكل أمره إلى الله عز وجل لأن علينا ظاهر المرء وعلى الله سبحانه سرائره، وهذا ما يُعرف بـ"الإسلام الحكمي".

"**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**"؛ أي يأتوا بفريضة الصلاة –لا النافلة– وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، فيقيمونها وفق ما جاءت به الشريعة وما هداهم إليه النبي المرسل محمد ﷺ، والإقامة من القيام، وفي القيام صبر وقوة وعزيمة، فيؤدونها بكافة شروطها ومستلزماتها، ثم يؤدون فريضة الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، فيخرجون ما بلغ النصاب من أموالهم النامية لمستحقيها من المسلمين.

"**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**"؛ فإذا فعلوا ذلك أي إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، "عصموا مني"، والعصمة تعني الحفظ أو العصمة من الخطأ أو العصمة من القتل، فإذا فعلوا ذلك لم يقاتلهم النبي ﷺ ولم يغنم أموالهم وما يملكون، ولم يسبِ نساءهم.

"**إلا بحق الإسلام**"؛ ما هو حق الإسلام الذي يفك العصمة ويرفعها عن الدماء والأنفس؟ قالوا تُرفع العصمة عن ثلاثة: قاتل النفس المتعمد غير معصوم الدم لأن فيه القصاص، والمرتد عن دينه غير معصوم النفس، والثيب الزاني لأنه يرجم، فالدماء جميعًا عُصمت إلا بواحدة من تلك الثلاث: الثيب الزاني لأنه يرجم، وقاتل النفس لأنه يقتل قصاصًا، والمرتد عن دينه المفارق للجماعة، وحق الإسلام في هذه الثلاث كما في حديث ابن مسعود الذي سيأتي بإذن الله.

"**وحسابهم على الله تعالى**"؛ أي في نطقهم بالشهادتين وهل فعلوا ذلك إيمانا أو نفاقا، فسريرة العبد موكلة إلى الله عز وجل أما نحن كعبيد لله فلا نملك من أمر من أسلم إلا ظاهره، أما إن ادعى غير ما يظهر فلسنا مخولين بالبحث عما يضمره في قلبه وما يكنه في صدره، ولنا في حادثة النبي ﷺ مع أسامة بن زيد خير دليل على أن قلوب البشر متكفل بها رب البشر، فأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله وعندما أنكر عليه النبي ﷺ صنيعه ذاك، قال أسامة للنبي: "إنما قالها خشية السيف"، فغضب صلوات ربي وسلامه عليه وقال له: "أشققتَ عن صدره؟!" ، إذن فما يكنه المرء في قلبه لا دخل لنا به وعلاقته بربه لا شأن لنا بها.

❑ الفوائد:

- أن النبي ﷺ عبد من عباد الله عز وجل وهو مأمور كما يُؤمر غيره.
- **الناس ثلاثة:**
  1. كفار : (أمرت أن أقاتل الناس)
  2. مسلمون: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...)
  3. منافقون: (وحسابهم على الله)
- الكافر الأصلي العاقل البالغ حربي قاتل أو لم يقاتل ، ويعصم دمه بأحد أمرين:

١. إيمان

٢. أمان وله صور منها:

- **الذمة ولها شرطان:**

١. دفع الجزية سنويا ؛ (حتى يعطوا الجزية).

٢. النزول تحت أحكام الإسلام ؛ (عن يد وهم صاغرون).

- مقاتلة الكفار واجبة حتى حصول الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .
- فرضية الجهاد في سبيل الله هذا وهو جهاد طلب فكيف إذا كان جهاد دفع كما في يومنا هذا؟!
- نكتفي من المسلم بإظهاره الإسلام أما باطنه فنوكله إلى الله عز وجل.
- بيان عظم شأن الصلاة حق البدن والزكاة حق المال.

الحديث التاسع:

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم.) [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد اشتهر بكنيته **"أبو هريرة"**، وقد اختلف في اسمه على أقوال جمة أرجحها عبد الرحمن بن صخر، أما كنيته فيروى أن النبي ﷺ من كناه بها لهرة كان يحسن إليها، قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (وجدتها فحملتها في كمي فكُنّيتُ بذلك.)

قال الإمام الذهبي في ترجمته: (الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله - ﷺ - أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحُفاظ الأثبات، ... حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين فقيل بلغ عدد أصحابه ثمانِ مائةٍ.)

يُذكر أنه هاجر وأسلم سنة سبع للهجرة ووصل المدينة وقت غزوة خيبر وصاحب النبي ثلاث سنوات، قال: (ما من مؤمن يسمع بي أو يراني إلا أحبني، قالوا: ولم يا أبا هريرة؟! قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتمتنع، وفي يوم أسمعتني كلامًا شديدًا في رسول الله ﷺ أحزنني، فذهبت أبكي إلى رسول الله ﷺ وقلت له: إن أمي أسمعتني كلامًا فيك أبكاني، فادع الله لها بالهداية، فدعا رسول الله ﷺ لها أن يهديها الله للإسلام، فرجع أبو هريرة قال: فوجدت الباب مجافيًا، وسمعت صوت الماء، فإذا بأمي تخرج، وقد لبست درعها، ولبست خمارها، وبادرتني قائلة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فرجعت إلى رسول الله أبكي من شدة الفرح، ثم

قلت: يا رسول الله! إنا غريبان فادع الله لنا، فقال: اللهم! حبب أبا هريرة وأمه للناس).

وهنا نشير إلى أنه لم يُنتقد صحابي ولم يُطعن فيه كما هو الشأن مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه كيف لا وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ ، وكل من أراد التشكيك في هذا الدين واستنقاصه وجه سهامه نحو أبي هريرة من مستشرقين وفرق ضالة، فألفوا المؤلفات وصنفوا المصنفات والتي ظاهرها الطعن في هذا الصحابي الجليل الذي حمل للأمة عن نبيها نصف الدين أو ما يزيد، وباطنها الطعن في ديننا الحنيف.

ولعل من أسباب كثرة رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ملازمته للنبي ﷺ ودعاء النبي له كما في حديث أحد الصحابة: (كنا في المسجد ندعو، فجاء رسول الله ﷺ فأمسكْنا، فقال: عودوا إلى ما كنتم عليه، فأخذنا ندعو: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، اللهم ارزقنا، فقام أبو هريرة وقال: اللهم إني أسألك بمثل ما سألك به صاحبي هذان، وأسألك أن تعلمني ما لم أعلم، فقال ﷺ : آمين).

وقد جاع أبو هريرة واحتاج ، قال ابن سيرين: (قال أبو هريرة: لقد رأيتني أُصرع بين القبر والمنبر من الجوع، حتى يقولوا: مجنون).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره."

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : "وأبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه..".

وقال ابن المبارك: أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال: أخبرني سلّم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل ما يبكيك؟ قال ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بعد

سفري، وقلة زادي، وأني أمسيت في صعود، ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي؟

❑ شرح الحديث:

"**سمعت رسول الله**"؛ السمع هنا يفيد أنه تلقى مباشرة من النبي ﷺ .

"**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**"؛ النهي أي الأمر بالترك والامتناع ، ونواهي النبي ﷺ تشمل ما كان في السنة أو في الكتاب الكريم، قال العلماء: النهي يقتضي الفساد، والنهي إما أن يكون في العقود والمعاملات وإما في العبادات، فالنهي في المعاملات يقتضي الفساد، والنهي في العبادات يقتضي التحريم والبطلان.

ومعلوم أن النواهي التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية إنما جُعلت لحفظ الكليات الخمس وهي: الدين، والنفوس، والأموال، والأنساب، والعقول.

والنبي ﷺ هنا قال "**فاجتنبوه**" ولم يقل مثلًا "**فاتركوه**"، لأن الاجتناب هو البعد بالكلية لذلك وهو أبلغ من مجرد الترك، وكل ما نُهي عنه مقدور على اجتنابه أي كل مُحرم مقدور على تركه: "**لا تقربوا الزنى**"، "**لا تقربوا الفواحش**"، "**لا تقتلوا النفس**"، غير أن الشارع قد رخص في بعض النواهي فأباح مثلًا لمن غص وكاد يموت ولم يجد ماءً ووجد خمرةً أن يشرب ما يذهب به الغصة ويتفادى به الموت، هذا عند الاضطرار بقدره كما هو مبين في كتب أصول الفقه.

"**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**"؛ هنا قيّد النبي ﷺ الأمر بالاستطاعة خلاف النهي الذي لا يتطلب استطاعة، لماذا؟ لأن الأفعال إما سلب أي ترك وإما إيجاب أي فعل.

والسلب مثل ترك الخمر، ترك الربا، ترك الغيبة، ترك النمص، ترك التبرج ...إلخ. والترك ليس فيه "ما استطعتم" لأنه مجرد عدم فعل، أما الإيجاب مثل فعل الصلاة، الصوم، الحج ...إلخ، فهنا الفعل فيه ما استطعتم لأنه إنشاء فعل.

الصلاة مثلا قد أمر بها العبد ولها شروط فهل إذا غاب أحد هذه الشروط جاز للمرء تركها بالكلية؟ لا، بل يأتي بما استطاع من تلك الشروط، ولذلك فكل العبادات والتكاليف في الشرع قد بُنيت على الاستطاعة.

بقي أن نعلم إنّ من الأوامر ما يكون واجبًا، ومنها ما يكون مستحبًّا ومندوبًا، **فالواجب**: لابد من الإتيان به، ولو لم يأت به العبد فإنه يأثم، ويستحق العقوبة، **وأما المندوب**: ففيه تكميل، وفيه فضل وثواب، وتكمل الفرائض بالنوافل إذا حصل فيها نقص، كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ .

فإذا كانت العبادة واجبة فيتعين الإتيان بها، وإذا كانت مستحبة فيُندب الإتيان بها، ومن تركها فإنه لا يأثم، لأن المستحب هو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ويطلبه الشارع طلبًا غير جازم.

أما النواهي فالأصل فيها أنها تفيد التحريم إلا لقرينة فتكون للكراهة، فما كان منها على سبيل التحريم فيتعين تركه، ولا يجوز الإقدام عليه، ويعاقب فاعله، وما كان من قبيل النواهي للتنزيه فيكون تركها أولى من فعلها، ولا شك أن هذا هو الأولى وهو الأفضل، ولكنه لو فعل ذلك لم يكن فعل أمرًا محرمًا، وإنما فعل أمرًا جائزًا، فيثاب تاركها ولا يعاقب فاعلها، فالمكروه كراهة تنزيه يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله لأنه جائز.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن ترك المحرمات أشد من الإتيان بالأوامر ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال مُعلقًا على :"إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ..." : (هذا يُؤخذ منه

أن النهي أشد من الأمر؛ لأن النهي لم يُرخَّص في ارتكاب شيءٍ منه، والأمر قُيّد بحسب الاستطاعة.)

وقال الحسن: (ما عبد العابدون بشيءٍ أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه.)

"**فإنما أهلك من كان قبلكم: كثرةُ سؤالهم، واختلافُهم على أنبيائهم**"؛ ومن كان قبلنا هم الأمم السابقة، وأكثر من كان يسأل اليهود والنصارى، واليهود أكثر.

وقد ذكر الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه سبب ذكر النبي لهذا الحديث وهو: (أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فقام رجل فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فأعرض عنه النبي ﷺ، فأعادها والنبي ﷺ يعرض عنه، فغضب وقال: لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم.)

والمسائل هنا تشمل الأوامر والنواهي، وما نُهي عنه في الحديث في زمن النبي ﷺ هي المسائل التي قد يترتب عنها تحريم شيء على الناس أو إيجاب شيء فيه مشقة وقد لا يستطيعونه كالحج كل عام، وهذا لأن زمن النبي كان زمن تشريع، أما ما تلاه من الأزمنة، فالمسائل التي يُنهى عن كثرة السؤال فيها هي المسائل التي لا تنفع المسلم وقد تُعدّ من التنطّع، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: (كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية: {**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَسأَلُوا عَن أَشيَاءَ**}.).

وهذا الحديث فيه دليل على النهي عن السؤال عن أمور لا نحتاج إليها، أو السؤال عن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله.

كذلك يُنهى المسلم عن السؤال الكثير عن الحلال والحرام والنبي صلوات الله وسلامه عليه قد بين أن كثرة مثل هذه الأسئلة كانت سببا من أسباب هلاك الأمم السابقة.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في جامع العلوم والحكم**: (وقد انقسم الناس في هذا الباب أقسامًا: فمن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل، حتى قل فقهه وعلمه بحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات والجدال عليه حتى يتولد من ذلك انفراق القلوب، ويستقر بها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرًا بنية المغالبة، وطلب العلو والمباهاة، وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمه العلماء الربانيون، ودلت السنة على قبحه وتحريمه.

وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله عز وجل، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وتفهمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان بأنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة، والزهد، والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي مما لا ينتفع به ولا يقع، إنما يورث التجادل فيه الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال، وكلام الإمام أحمد كثيرًا إذا سئل عن شيء من المسائل المولدة أو المولدات التي لا تقع يقول: دعونا من هذه المسائل المحدثة.)

❑ الفوائد:

- وجوب الكف عما نهى عنه النبي ﷺ.
- النواهي لا يلزمها الاستطاعة على خلاف الأوامر.
- لا يجب من فعل المأمور إلا ما كان مستطاعًا مقدورًا عليه ومن عجز عن الإتيان ببعض الأوامر كفاه أن يأتي بما قدر عليه منها.
- التحذير مما أهلك الأمم السابقة وعلى رأسهم اليهود من كثرة السؤال والتنطع والتكلف في المسائل.

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟" [رواه مسلم].

❑ شرح الحديث:

"**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**"؛ أي أن الله سبحانه وتعالى مقدَّس منزَّه عن النقائص كلها، والله عزّ وجلّ طيب في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله.

والنبي ﷺ قال: إن الله طيب. والنتيجة أنه بذلك لا يقبل سبحانه إلا طيبا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ والله تعالى لا يكون منه إلا الطيب ولا يليق بجلاله إلا الطيب، والمتأمل في خلق الله يرى كمالًا ينزهه عن النقائص والعيوب، ثم إن المتأمل في أحوال الناس قد يرى من منهم لم تكتمل خلقته أو بها عيب أو عاهة أو إعاقة وهذا لا يعني التشكيك في قدرة الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولكن قد يكون ذلك ابتلاء منه سبحانه لبعض من عبيده لحكمة يعلمها هو وتجهلها عقول البشر الناقصة، لذلك يجب على المسلم أن يسلّم بأن كل ما وضعه الله في خلقه طيب لأنه سبحانه طيب وعليه الرضا بما قدره عليه.

وقوله ﷺ: **"لا يقبل إلا طيبا"** : يعني أن أعمال العباد شرط قبولها أن تكون طيبة في ذاتها وكل عمل خالطه خبث كالرياء والعجب لا يقبلها الله، وكذلك الأموال لا يقبل منها إلا ما كان حلالًا طيبًا وقد قيل: (فإن الطيب تُوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيبٍ وخبيثٍ.)

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فالمؤمن كله طيب قلبُه ولسانُه وجسدُه بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان، وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات التي هي الإيمان والعمل الصالح كلُّها يقبلها الله عز وجل.)

إذن طيب العمل شرط أساسي لقبوله، ولو تأملنا مليًّا لوجدنا أن جميع تعاليم الإسلام وشرائعه تندرج ضمن هذا اللفظ: "طيب"، فلا صلاة طيبة إلا التي أحسن العبد وضوءها فأسبغه ولباسه فيها كان من حلال، ولا زكاة طيبة إلا التي كانت من مال حلال طيب، ولا صيام طيب إلا الذي صامت فيه الجوارح عن الحرام كما تصوم عن الشراب والطعام، ولا حج طيب إلا الذي كان من مال حلال طيب أيضا وقد قيل: (من حج بمال حلال، وزاد حلال، وراحلة حلال، فوضع رجله في الغرز وقال: لبيك اللهم لبيك، نودي من السماء: لبيك وسعديك، وإذا كان حرامًا، وقال: لبيك، نودي: لا لبيك ولا سعديك، ارجع مأزورًا لا مأجورًا).

كذلك الجهاد في سبيل الله تعالى لا يكون طيبا إلا إذا كان "لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله".

ومن هنا يتبين لنا أن الغاية لا تبرر الوسيلة، فكون المرء يريد الخير ومسعاه حميدًا، هذا لا يبرر له سلك سبل خبيثة محرمة كأن يسلك مثلًا سبيل الانتخابات الكفري

لتنصيب حاكم وعد أثناء حملته الانتخابيّة بتحكيم شرع الله! كذلك الذي يتعامل بالربا قصد بناء مسجد مثلًا وفيه يصدق قول الشاعر:

بنى مسجدًا لله من غير حله * وكان بحمد الله فيه غير موفق**

كمطعمة الأيتام من كد فرجها * لها الويل لا تزني ولا تصدقي**

"وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون:٥١] **"**؛ وهذا فيه دليل أن الرسل يؤمرون ويُنهون كبقية عباد الله وإن كانت عباداتهم له سبحانه أكمل من عبادات المؤمنين، والله جل جلاله قد أمر الرسل وهم الخاصة بما أمر به العباد وهم العامة وكلّهم بتحري الحلال الطيب مأمورون.

" ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟"؛ أشار النبي ﷺ إلى آداب الدعاء وبعض من الأسباب التي تقتضي إجابته ومنها:

السّفر الطّويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده.) [رواه أبو داود والترمذي].

التبذّل في اللّباس: "أشعث أغبر"، وقد روي عن النبي ﷺ قال: (رُبّ أشعث أغبر ذي طِمرَين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره.) [رواه الترمذي وغيره].

مدّ اليدين إلى السّماء: عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى حيي كريم ، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين.) [رواه أبو داود والترمذي].

الإلحاح في الدعاء بتكرار ذكر ربوبيته تعالى: " يا رب يا رب "، وعن عائشة مرفوعًا : (إذا قال العبد: يا رب أربعًا ، قال الله : لبيك عبدي ، سل تعطه.) [رواه البزار].

ولكن ومع توفر هذه الآداب والأسباب التي تستوجب إجابة الدعاء، إلا أن دعاء هذا العبد المذكور في الحديث يحول بينها وبين استجابة الله له الحرام الذي يسبح في بحاره الواسعة، مأكلًا ومشربًا وملبسًا وتغذيةً!

قال ﷺ : "فأنَّى يُستجاب لذلك ؟!" أي كيف يُستجاب لذلك، وأنَّى تفيد الاستبعاد، فالنبي يستبعد حصول الإجابة لوجود موانع لها وهي الحرام وقد قال بعض السلف: (لا تستبطئ الإجابة، وقد سددتَ طرقها بالمعاصي.)

❑ **الفوائد:**

- أن الطيب اسم من أسماء الله الحسنى وهو المنزه عن النقائص والعيوب.
- أن شرط قبول أعمال العبد من عبادات ومعاملات الطيب وأن لا يخالطها خبث.
- أن الصدقة لا تقبل إلا من مال حلال.
- أمر الله تعالى لعباده من الرسل وأتباعهم بأكل الطيبات.
- أن أكل الحرام من أسباب عدم قبول الدعاء.
- ذكر النبي ﷺ لبعض آداب الدعاء وأسباب قبوله.

الحديث الحادي عشر:

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" [رواه الترمذي والنسائي. وقال الترمذي حديث حسن صحيح].

❑ راوي الحديث:

هو أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المدني، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

روى عن النبى ﷺ أحاديث، وروت عنه عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وروى عنه جماعات من التابعين، منهم ابنه الحسن بن الحسن، وأبو الحواري، بالحاء المهملة، ربيعة بن سنان، والشعبي، وأبو وائل، وابن سيرين، وآخرون.

توفي بالمدينة سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودفن بالبقيع، وقبره فيه مشهور، صلى عليه سعيد بن العاص. وكان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ، شبيهًا بالنبي ﷺ سمَّاه النبي ﷺ الحسن، وعق عنه يوم سابعه، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء.

قال أبو أحمد العسكري: سماه النبي ﷺ الحسن، وكناه أبو محمد. قال: ولم يكن هذا الاسم يُعرف فى الجاهلية. ثم روى عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين.

قال: قلت له: فالذين باليمن؟ قال: ذاك حسْن، بإسكان السين، وحَسِين، بفتح الحاء وكسر السين.

أرضعته أم الفضل امرأة العباس مع ابنها قثم بن العباس، ونقلوا أن الحسن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حج حجات ماشيًا، وقال: إنى أستحيى من الله تعالى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته. وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، فتصدق بنصفه حتى كان يتصدق بنعل ويمسك نعلاً، وخرج من ماله كله مرتين، وكان حليمًا، كريمًا، ورعًا، دعاه ورعه وحلمه أن ترك الدنيا والخلافة لله تعالى، وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وولى الخلافة بعد قتل أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكان قتل علي لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين، وبايعه أكثر من أربعين ألفًا كانوا بايعوا أباه، وبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان، وغير ذلك، ثم سار إليه معاوية من الشام، وسار هو إلى معاوية، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه، على أن تكون له الخلافة بعده، وعلى أنه لا يطلب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه، وغير ذلك من القواعد، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فاصطلحا على ذلك، وظهرت المعجزة النبوية فى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحسن: "إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

قيل: كان صلحهما لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقيل: فى شهر ربيع الآخر، وقيل: فى نصف جمادى الأولى من السنة المذكورة، وكان وصى إلى أخيه الحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم، عن البراء، قال: رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه، وهو يقول: "اللهم إني أحبه فأحبه" وفي البخاري، عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قال النبى ﷺ : "هما ريحانتاي من الدنيا" ، يعني الحسن والحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن أبى سعيد الخدري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" . رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أسامة بن زيد، قال: طرقت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرج وهو مشتمل على شيء، قلت: ما هذا؟ فكشفه، فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: "هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنى أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما") . رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

ومناقبه، رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرة مشهورة. [انظر: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٨].

❑ التعليق على الحديث:

هذا الحديث رواه النسائي في المجتبى والترمذي في الجامع الكبير وقال: حسنٌ صحيحٌ.

وهذا الحديث على قصره وقلة ألفاظه إلا أن معناه عظيم ويُعتبر أصلًا من أصول الدين، إذ يلخص لنا في جملة واحدة الخلق الذي يجب على المسلم التقي الورع أن يتحلى به. ومعناه يعود بنا إلى حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :"فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ولعرضه ...".

شرح الحديث:

"**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**"؛ ودع فعل أمر أُغفل ماضيه ومعناه "اترك"، و"ما يريبك"؛ من الريب بمعنى القلق والاضطراب، فالأمر الذي يريبك هو الذي يحوك في صدرك وتُحس فيه بالإثم، والمسلم في دنياه عليه أن يقف عند كثير من الأمور استبراءً لدينه ولعرضه وخشية الوقوع في الشبهات التي تجر حتمًا إلى الحرام.

ولعل الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يورد هذا الحديث بعد حديث "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا" اعتباطًا، فقد بين النبي ﷺ في الحديث السابق بعضًا من آداب الدعاء وأسباب الإجابة، وهاهو الإمام النووي هنا يأتي بالحديث الحادي عشر

والذي فيه تبيان لكيفية ترك الحرام وتحري الحلال بترك العبد ما يريبه إلى ما لا يريبه وهذا من تمام الورع وهو أن تترك ما لا بأس فيه مخافة الوقوع في الشبهات.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يزعم الناس أن الورع شديد، وما ورد عليَّ أمران إلا أخذتُ بأشدّهما، فدع ما يريبكَ إلى ما لا يُريبكَ).

وقال حسان بن أبي سنان: (ما شيءٌ أهون من الورع، إذا رابك شيءٌ فدعه).

وها هو نبي الله سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يُشغل باستعراض الخيل عن صلاة العصر كما ذكر أهل التفسير فيجد في نفسه ريبة فيرد تلك الخيول ويتصدق بها جميعها، وقد ذكر الله تعالى قصته في القرآن فقال: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ ص: ٣٢ - ٣٣

ولكن متى يكون الورع؟ الورع يكون عند من ترك المحرمات بالكلية واستبرأ لدينه وعرضه، أما من يتجرأ على بعض الحرام ثم يترك أمرًا آخر مُحرمًا بداعي التورع

عن الشبهات، فهذا ليس بالورع! ومما يُروى عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه جاءه أهل العراق يستفتونه في دم البعوض، فقال: واعجباً لكم، تستفتونني في دم البعوض، وقد قتلتم الحسين بن علي!

❑ الفوائد:

- على العبد ترك ما يريبه والأخذ بما لا يريبه.
- إذا المرء ابتغى الراحة والطمأنينة فعليه ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه.
- الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ .

الحديث الثاني عشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -ﷺ-: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) حديث حسن، رواه الترمذي وغيره.

❑ التعليق على الحديث:

يُعدّ هذا الحديث أصلًا من أصول الأدب، وهو من جوامع الكلم التي خُصَّ بها النبي ﷺ.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح، عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه قال: جماع آداب الخير تتفرّع من أربعة أحاديث: قول النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)، وقوله ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقوله للذي اختصر له في الوصية: (لا تغضب)، وقوله ﷺ: (المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)". ا.هـ

❑ شرح الحديث:

"**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**"؛ "من حسنِ" أي من محسّنات الإسلام، فمن اكتمل إسلامه بأركانه وأراد له زيادةً في التمام والكمال يأتي بالنصيحة النبوية العظيمة التي جاء بها هذا الحديث وهي تركُ المرء ما لا يعنيه.

والمرء هنا للذكر ولكن وبما أن الأصل في الأسماء الذكورة؛ فإن الحديث موجه للرجال والنساء على حد سواء.

والترك الكف والاجتناب، وعلى المسلم أن يفعل ما يعنيه ويترك ما لا يعنيه في أمور الدين والدنيا، فلا ينشغل بأمور لا شأن له بها، قال بعض أهل العلم: (أهم ما

يعنيك فعل الواجبات، وأهم ما لا يعنيك فعل المحرمات، فمن حسن إسلام المسلم تركه ما لا يجوز له فعله؛ لأنه لا يعنيه، فترك المحرمات والمكروهات، وترك الكبائر والصغائر مما يعني الإنسان تركه، والشخص إذا ترك المحرمات والشبهات والمكروهات يسلم ولو قصر في الواجبات، لكن إذا أخذ من هنا، ومن هنا، فقد خلط عملاً سيئًا وآخر صالحًا).

وهناك قاعدة ليعلم الإنسان أي الأعمال تعنيه وأيها لا يعنيه: فإذا كان العمل الذي سيقوم به فيه منفعة له فهذا العمل يعنيه، أما إذا كان هذا العمل لا فائدة تُرجى منه فحينها يكون عملًا لا يعنيه فوجب تركه.

فعلى المرء إذن أن لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يشغل نفسه بما لا شأن له فيه، فيضيع وقته بل وقد يكون ذلك سببا ليفرط في الأعمال التي تعنيه والتي عليه فعلها. فالمحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات كلها لا تعني المسلم إذا كمل إسلامه، وحينها يبلغ درجة الإحسان فيستحضر الله عزّ وجلّ في حركاته وسكناته، وأنه سبحانه مطلع عليه لا تخفاه من عبده خافية، ومن فعل ذلك فقد حسن إسلامه.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأكثر ما يُراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام).

وقد سأل معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ فقال: (أنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يُكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- الفوائد:

- ترك الإنسان ما لا يعنيه في أمور الدين والدنيا والاشتغال فقط بما يعنيه فـيريح نفسه ويحفظ وقته ولا يفرط فيما فُرض عليه.
- تفاوت الناس في الإسلام .

الحديث الثالث عشر:

عن أبي حمزة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). [رواه البخاري ومسلم].

❑ راوي الحديث:

هو أنس بن مَالك أَبُو حَمْزَة الْأَنْصَارِيّ البُخَارِيّ الخزرجي خَادِم رَسُول الله ﷺ وَهُوَ آخر أَصْحَابه موتا.

روى عَن النَّبِي ﷺ وَعَن أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان وَأسيد بن حضير وَأبي طَلْحَة وَعبادَة ابْن الصَّامِت وَأمه أم سليم وخالته أم حرَام وَابْن مَسْعُود ومعاذ وَأبي ذَر، وقد أهدته أمه أم سليم للنبي ﷺ ليخدمه.

قَالَ: "خدمت رَسُول الله ﷺ عشر سِنِين فَمَا ضَرَبَنِي وَلَا سبني وَلَا عبس فِي وَجْهي." رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ بأطول من هَذَا.

وَقَالَ رَسُول الله ﷺ : (اللَّهُمَّ أَكثر مَاله وَولده)، قَالَ أنس: (وَالله إِن مَالِي لكثير وَإِن وَلَدي وَولد وَلَدي يتعادون على نَحْو من مائةٍ الْيَوْم).

قَالَ بَعضهم؛ بلغ مائَة وَثَلَاث سِنِين وَتُوفِّي على الصَّحِيح سنة ثَلَاث وَتِسْعين لِلْهِجْرَةِ وروى لَهُ البُخَارِيّ وَمُسلم وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن ماجه. [انظر: الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣٤].

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح خرّجه الشيخان في الصحيحين، وهو أيضا من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ .

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (كتبت عَن النَّبِي ﷺ خمس مائة ألف حَدِيث، انتخبت مِنْهُ مَا ضمنته كتابي السّنَن، جمعت فِيهِ أَرْبَعَة آلَاف وَثَمَانِمائَة حَدِيث، ذكرت الصَّحِيح وَمَا يُشبههُ ويقاربه، وَيَكْفِي الْمُسلم لدينِهِ من ذَلِك أَرْبَعَة أَحَادِيث:

"**الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ**"، و"من حسن إِسْلَام الْمَرْء تَركه مَا لَا يعنيه"، و"لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى يرضى لِأَخِيهِ مَا يرضى لنَفسِهِ"، و"الْحَلَال بَين وَالْحَرَام بَين"). ا.هـ [التحبير شرح التحرير ٨/ ٣٨٣٩].

❑ شرح الحديث:

"**لا يؤمن أحدكم**"؛ جاء في الحديث السابق محسّنات الإسلام والتي بها يكمل إسلام المرء، وفي هذا الحديث يتحدث النبي ﷺ عما يكمل به الإيمان.

و"**لا يؤمن أحدكم**" هذه "لا" النافية، وبها تم نفي الإيمان عن آحاد من الناس، والإيمان كما جاء في حديث جبريل عليه السلام: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)، والمعني من نفي الإيمان هاهنا نفي الإيمان الكامل بأصوله الستة، ولا يعني ذلك نفي الإيمان بالكلية وخروج المرء من دائرة الإسلام، بل هو مؤمن ناقص الإيمان. وقلنا بذلك جمعا بين الأدلة.

ومعلوم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "الزاني يُنزع منه نور الإيمان، وقال أبو هريرة: يُنزع منه الإيمان، فيكون فوقه كالظلة، فإذا تاب عاد إليه." [انظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية].

وقال عبد الله بن رواحة وأبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "الإيمان كالقميص، يلبسه الإنسانُ تارةً ويخلعه أخرى."

ومحل الإيمان: القلب واللسان والجوارح، فالإيمان يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أي أن قول اللسان يسمى إيمانًا، وعمل الجوارح يسمى إيمانًا، قال النبي ﷺ: "الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شُعبة من الإيمان." رواه مسلم بهذا اللفظ، والبخاري بلفظ: "بِضْعٌ وَسِتُّونَ".

أعلاها قول: لا إله إلا الله، هذا قول اللسان، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق وهذا فعل الجوارح، والحياء عمل القلب، وأما القول بأن الإيمان محلّه القلب فقط، وأن من أقرّ فقد آمن فهذا لا يصحّ، وهو قول المرجئة.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وحديث أنس يدلُّ على أنَّ المؤمنَ يَسرُّه ما يسرُّ أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير، وهذا كلُّه إنَّما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغلِّ والغِشِّ والحسد، فإنَّ الحسدَ يقتضي أن يكره الحاسدُ أن يفوقَه أحدٌ في خير، أو يساويه فيه؛ لأنَّه يُحبُّ أن يَمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلافَ ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه منه شيء". ا.هـ

❑ **الفوائد:**

- وجوب محبة المرء لأخيه ما يحب لنفسه والدليل نفي الإيمان الكامل عمن لا يفعل ذلك.
- التحذير من الحسد.
- المؤمنون يتفاوتون في الإيمان.

الحديث الرابع عشر:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". [رواه البخاري ومسلم].

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح خرجه الشيخان في صحيحيهما وقد روي في معناه عن النبي ﷺ أحاديثُ كثيرة.

❑ شرح الحديث:

"**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**" ؛ هذه الثلاث المذكورة في هذا الحديث، هي حق الإسلام التي بها يُستباح دم المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذا هو حق الإسلام الذي بيّناه في الحديث الثامن من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

"**الثيب الزاني**"؛ وهو المحصن أي الذي له زوجة وكذلك المرأة، قَالَ ابن الْمُنْذِرِ رحمه الله: (أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْإِحْصَانُ بِالنِّكَاحِ الْفَاسِدِ وَلَا الشُّبْهَةِ). ا.هـ [انظر: فتح الباري ١٢/ ١١٧].

فهذا حكمه الرجم حتى الموت كما أجمع على ذلك المسلمون، وقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ قد أقام حد الرجم حتى الموت على ماعزٍ الأسلمي والمرأة الغامدية. وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: (بَابُ رَجْمِ الْمُحْصَنِ).

"**والنفس بالنفس**"؛ أي أن المُكلّف إذا قتل نفسًا معصومة بغير حق يُقتل قصاصًا؛ قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ المائدة: ٤٥ ، وقال عز

وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ البقرة: ١٧٨

"**التارك لدينه المفارق للجماعة**"؛ أي من ارتد عن دين الإسلام وفارق بذلك جماعة المسلمين، بارتكابه لناقض من نواقض الإسلام وإن أتى بالشهادتين، قال النبي ﷺ : "من بدّل دينه فاقتلوه" [رواه البخاري].

قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد). ا.هـ

❑ **الفوائد:**

- أن المسلم معصوم الدم إلا إذا أتى بواحدة من هذه الثلاث التي ذُكرت في الحديث.
- أن الزاني المحصن يُرجم بالحجارة حتى الموت.
- أن القاتل عمدًا يُقتل قصاصًا.
- أن المرتد عن الإسلام يُقتل سواء كان ذكرًا أو أنثى.

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" [رواه البخاري ومسلم].

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح خرجه الشيخان في صحيحيهما، ويبين للمسلم مكارم الأخلاق وصالحها والتي قال عنها النبي ﷺ كما في حديث آخر: "إنما بُعثتُ لأتمّم صالح الأخلاق" [رواه أحمد].

❑ شرح الحديث:

"**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر**" ؛ "من" مِن أدوات الشرط، وفعل الشرط هنا: "كان يؤمن بالله واليوم الآخر"، وجواب الشرط: فليفعل كذا وكذا، فالإيمان بالله واليوم الآخر قاعدة لفعل الأوامر واجتناب النواهي، لأن من آمن بالله واليوم الآخر أدرك بالضرورة أن هناك يومًا آخرَ سيحاسب فيه على أفعاله في الدنيا.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : "وأعمال الإيمان تارةً تتعلق بحقوق الله، كأداء الواجبات وترك المُحرّمات، ومن ذلك قولُ الخير والصمت عن غيره. وتارةً تتعلّق بحقوقِ عباده كإكرام الضيف، وإكرام الجار، والكفِّ عن أذاه...". ا.هـ

"**فليقل خيرًا أو ليصمت**"؛ هذا أمر بقول الخير وحفظ اللسان عما سوى الخير لأن الله عزّ وجلّ سائل عباده عن كل ما تلفظوا به في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: ١٨ ، فأخطر ما يكون على العبد لسانه وقد جاء في حديث

معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عندما قال له ﷺ: "احفظ عليك لسانك، فقال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم– إلا حصائد ألسنتهم".

ورُبَّ كلمة يقولها المرء لا يلقي لها بالًا توروده المهالك في الآخرة والدليل قول النبي ﷺ: "وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [رواه البخاري].

وإن العبد إذا تعود قول الخير وكف لسانه عما عداه لن يقع حتمًا في شر محرم كالغيبة والكذب والنميمة والغش وغيره، لذا فقد روى أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ صَمَتَ نَجَا".

قال محمد بن عجلان: (إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك). ا.هـ

"**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**"؛ لقد جعل الشارع الحكيم للجار حقا بل حقوقا أوجبها له بحكم هذه الجيرة، وعن عائشة رضي الله تعالى أن النبي ﷺ قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجارِ حتى ظننت أنه سيورّثه". [رواه الشيخان].

والجار على ثلاثة أقسام:

١. الجار المسلم القريب، وله ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة أي أن يكون من الأرحام.
٢. الجار المسلم غير القريب؛ وله حقان: حق الإسلام، وحق الجوار.
٣. الجار الكافر الذمي؛ وله حق واحد وهو حق الجوار.

وقد روي في الإنجيل :"لا تؤذي جارك"، فتوقف الأمر للنصارى بعدم أذية الجار فقط، أما المسلمون فقد أتاهم الأمر بالإحسان إلى الجار عدا عدم أذيته والتعرض له بسوء.

ومما يجدر التنبيه عليه أن الحديث الذي يتداوله كثير من الناس أن النبي ﷺ أوصى بسابع جار؛ هذا حديث مكذوب وموضوع على النبي عليه الصلاة والسلام ولكن قال طائفة من السلف: حد الجوار أربعون دارًا، وقيل: مستدار أربعين دارًا من كل جانب.

وجاء في مراسيل أبي داود عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "السَّاكِنُ مِنْ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارٌ"، قَالَ: فَقُلْتُ: لِابْنِ شِهَابٍ وَكَيْفَ أَرْبَعُونَ دَارًا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ وَخَلْفَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ.

ويبدأ بالأقرب فالأقرب؛ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك بابًا". [رواه البخاري].

"**ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخر فليكرم ضيفه**" ؛ يأمر النبي ﷺ المسلمين بالإحسان إلى الضيف، وهذا من حقوق الضيف التي أوجبها له الإسلام، والضيافة في ديننا على قسمين؛ ضيافة واجبة وتدوم يومًا وليلةً، وضيافة مُستحبة وتدوم ثلاثة أيام.

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي شريح قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ ، فقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قيل وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما وراء ذلك فهو صدقة عليه".

قال الله تعالى في مُحكم التنزيـل: ﴿ هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ قولـه المكرمين أي أنه عليه السلام قام بإكرامهم بنفسه.

وكان حاتم الطائي مضرب الأمثال في الجـود والكـرم، إذا جـن الليـل يـوعز إلى غلامه أن يوقد النار في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضله الطريق فيأوي إلى منزلـه ويقول:

أوقد فإن الليل ليل قرّ * والريح يا موقد ريح صرّ**

عسى يرى نارك من يمرّ * إن جلبت ضيفًا فأنت حرّ**

❑ الفوائد:

- المسلم مأمور بكف لسانه إلا عما فيه خير.
- التذكير عند الترغيب والترهيب باليوم الآخر، يوم الحساب والجزاء.
- ذكر حق الجار والحث على الإحسان إليه والتحذير من إيذائه.
- الحث على إكرام الضيف والإحسان إليه.

الحديث السادس عشر:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رجلًا قال للنبي ﷺ : أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد مرارًا قال: "لا تغضب". [رواه البخاري].

❑ التعليق على الحديث:

حديث صحيح خرّجه الإمام البخاري، وهو أيضًا من جوامع الكلم التي خُصّ بها النبي ﷺ ، وفيه وصية وجيزة جامعة لخيري الدنيا والآخرة.

❑ شرح الحديث:

هذا الحديث ورد في شكل سؤال وجواب، سؤال من صحابي تضاربت المعلومات حول من هو، إذ قيل أنه أبو الدرداء وقيل أنه جارية بن قدامة، وكائنًا من كان فهو شخص يريد التعلم من خير معلم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

"**أن رجلًا قال للنبي ﷺ : "أوصني"**"؛ أي أن هذا الرجل يطلب نصيحةً من رسول الله ﷺ ووصية تكون وجيزة وتنفعه في أمور دينه ودنياه.

والوصية نصيحة تكون بين متحابّين لا متنافرين، ومن صديق مشفق لا من عدو مبغض، فأساس الوصية حب الخير من الموصي إلى الموصَى.

"**قال لا تغضب**"؛ أوصى النبي ﷺ هذا الصحابي بأن لا يغضب، ردد ذلك ثلاثًا مزيدًا منه في التأكيد وهذا إن دل فيدل على ما في الغضب من شر مذموم بل إن جماع الشر كله في الغضب، وأكثر الأفعال والأقوال المحرمة إنما يأتيها المرء ساعة الغضب كالقتل والاعتداء والسب والشتم واللعن والقذف وغيرها، لأن الغضبان عادة ما يخرج عن طوره فلا يعود يعقل ما يقول أو يفعل ساعة غضبه.

ولكن قد يكون الغضب محمودًا فمتى ذلك؟

إذا كان لحرمات الله والأسوة في ذلك نبينا ﷺ، إذ كان بأبي هو وأمي لا يغضب إلا إذا رأى حرمات الله تنتهك، فقد جاءه أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليشفع في المرأة المخزومية التي زنت فغضب النبي لذلك وقال: " أتشفع في حد من حدود الله؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" [متفق عليه].

وقد حذر النبي ﷺ من الغضب في أكثر من حديث، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". [رواه البخاري].

ومن هنا نعلم أن ثم فرق بين حصول الغضب وبين انفاذ الغضب، فالمنهي عنه إنما هو انفاذ الغضب بما يؤول إلى معصية ومحرم، لا مجرد حصوله مع كظمه، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

وليُعلم أخيرا أن كل فضيلة بين رذيلتين، فالشجاعة بين التهور والجبن، والكرم بين التبذير والبخل، والحلم بين الغضب والبلادة.

❑ **الفوائد:**

- حرص المسلم على السؤال طلبًا للنصيحة والسعي للإكثار من أبواب الخير.
- تكرار الكلام تأكيدًا على أهميته.
- في الغضب جماع الشر كله.
- قد يكون الغضب محمودًا إذا كان لله وحرماته كما كان غضب النبي ﷺ.

الحديث السابع عشر:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليُحدَّ أحدُكم شفرتَه وليرح ذبيحته". [رواه مسلم].

❑ راوي الحديث:

هو شدّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، يُكنّى بأبي يعلى وأبي عبد الرحمن الأنصاري، وعمه حسان بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شاعر رسول الله ﷺ .

قال عنه أبو الدرداء: (إن شدّاد بن أوسٍ أوتي علمًا وحلمًا).

وقال عنه سعيد بن عبد العزيز: (فضُلَ شدّاد بن أوس الأنصار بخصلتين؛ ببيان إذا نطق، وبكظم إذا غضب).

وقال المُفضّل الغلابيّ: (زُهّادُ الأنصارِ ثلاثة؛ أبو الدرداء، وعمير بن سعد وشدّاد بن أوس).

وقد مات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في فلسطين سنة ثمان وخمسين، في آخر عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة.

❑ التعليق على الحديث:

قال الإمام النووي رَحِمَهُٱللَّهُ : (وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام وذلك لأن هذا الحديث يدل على عموم الإحسان في كل شيء، ولعله أمر بإحسان القتلة وإحسان الذبحة على سبيل المثال، أو لحاجة البيان لذلك.)

❑ شرح الحديث:

"إن الله كتب الإحسان على كل شيء"؛ كتب من الكتابة والكتابة تقتضي الوجوب كما اتفق على ذلك أكثر الفقهاء؛ قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا}، وقال أيضًا: {كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، وقال عزّ وجلّ: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ}، وقال أيضا: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}، وقال كذلك: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ}، وقال النبي ﷺ في قيام شهر رمضان: "إني خشيتُ أن يُكتبَ عليكم" [رواه البخاري].

وبذلك فقد نصّ هذا الحديث على وجوب الإحسان، والله تعالى أمر عباده بالإحسان فقال: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}، والأمر بالإحسان تارةً يكون واجبًا كالإحسان إلى الوالدين والأرحام والضيف، وتارةً يكون مستحبًّا كالصدقات وغيرها. والإحسان في الإسلام قاعدة عامة في جميع الأعمال.

"فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ"؛ نصَّ هذا على وجوب الإحسان عند قتل من جاز قتله من الناس أو الدواب، ومن يجوز قتلهم من الناس الكفار عند جهادهم، أو عند إقامة الحد على مسلم أهدر دمه بحق الإسلام.

وكان النبي ﷺ إذا بعث سرية تغزو في سبيل الله قال لهم: "لا تُمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا." [أخرجه مسلم].

"وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليُحِدَّ أحدُكم شفرته وليرح ذبيحته"؛ وذلك يكون بمراعاة الشروط التي ضبطها الشارع قبل وأثناء ذبح البهائم ومنها أن تكون آلة الذبح حادة لأن ذلك يسرع بإزهاق الروح فترتاح الذّبيحة، وأن تُقاد الذبيحة إلى مكان ذبحها برفق وتوارى الشفار فلا ترى السكين، وقد قال الإمام أحمد ؒ: (تُقاد إلى الذبح قودًا رفيقًا، وتُوارى السكين عنها، ولا تُظهر السكين إلا عند الذبح.) وقد

روي أنه ﷺ مر برجل يحد الشفرة أمام الشاة وهي تنظره بعينيها، فقال: "هلا كان قبل ذلك" أي: هلا حددت الشفرة قبل أن تضجعها وهي تنظر إليك!

كذلك التسمية عند الذبح وفرق بين التسمية والبسملة؛ فالتسمية قول بسم الله وهذا إنما يكون عند بدء كثير من الأعمال، بينما البسملة هي قول بسم الله الرحمن الرحيم وهذا الذي يكون عند قراءة القرآن أو كتابة المصنفات أو المراسلات.

ومن هنا يتبين لنا أن الإحسان في الإسلام مطلوب في كل شيء حتى في القتل والذبح.

ولعل ثم فرق لطيف بين القتل والذبح، فالقتل يستخدم غالبا في ازهاق روح ما لا يؤكل، بينما الذبح فيستخدم غالبا في ازهاق روح ما يؤكل.

وإذا كان الإحسان في هذه الأمور منصوص عليه، فما دونه من باب أولى.

❑ الفوائد:

- إظهار جانب الرحمة في الإسلام ومحلها.
- الإحسان في كل شيء حتى عند القتل والذبح.
- النهي عن المثلة بالإنسان دون وجه حق.

الحديث الثامن عشر:

عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال: "اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن." [رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح.]

❑ راوي الحديث:

هما اثنان؛ الأول أبو ذر جُندب بن جُنادة الغفاري، هاجر إلى النبي ﷺ وهو أول من حيى رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، ويُعدّ من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وقيل كان خامس خمسة في الإسلام، لازم النبي ﷺ وخدمه وجاهد معه وكان رأسًا في الزهد والصدق والعلم والعمل، قوّالًا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثاني هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل من بني جشم بن الخزرج، ويكفي هذا الصحابي محبة رسول الله ﷺ له كما في سنن أبي داود والنسائي من حديث حيوة بن شُرَيْح عن عُقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن الصُّنابِحي عن معاذ أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي يومًا فقال: "والله يا معاذ إني لأُحِبُّك فلابد من أن تقول في دُبر كل صلاة: اللهم أَعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرك وحسن عبادتك."

وقال عنه ﷺ في مجموعة من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: "أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ الله عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَام مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ". [رواه الترمذي].

قال قتادة عن أنس: جَمَعَ القرآن أربعةٌ من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ: أُبيّ، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

وقال أبو قِلابة: عن أنس مرفوعًا: (وأعلمُهُم بالحلال والحرامِ مُعاذُ بن جبل).

وقال ابن مسعود: (إنَّ معاذاً كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين).

وقد خلفه رسول الله ﷺ في مكة عام الفتح حينما خرج إلى حنين يفقه أهل مكة في الدين.

وكانت وفاته في طاعون عَمَوَاس -قرية بين الرملة وبيت المقدس-، سنة ثماني عشرة، وقيل: سبعة عشر، والصحيح الأول.

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم فيه وصية جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عبيده، بتقوى الله عز وجل وهي وصيته تعالى للأولين والآخرين.

❑ شرح الحديث:

"**اتقِ الله حيثما كنتَ**"؛ يوصي النبي ﷺ بتقوى الله، وهذه وصية من الله تعالى لعباده الأولين والآخرين، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ **والتقوى لغة** من الوقاية فيتخذ الإنسان حاجزًا يقيه ما يخاف ويحذر، **ويُعرّفها الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **فيقول**: (بأن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.)

والتقوى كما ورد عن بعض السلف: (أن يُطاع الله فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.)

ومتى ما أضيفت التقوى إلى اسم الله تعالى فتعني التحذير من موجبات غضبه وسخطه كقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**}، وقوله: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**}.

وخير زاد للآخرة التقوى والله تعالى يقول: {**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**}. وقوله ﷺ؛ "اتق الله حيثما كنت" أي اتقِ الله في السر والعلن، اتقِ الله في خلواتك حيث لا يراك غير خالقك، واتقِ الله أمام الناس واعلم أن ربك رقيب لا تخفاه منكَ خافية؛ {**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**}، وليحذر المسلم أن يكون الله أهون الناظرين إليه فيلبس ثوب التقوى أمام الناس وينزعه عنه متى خلا بنفسه وشيطانه فيعصي ويذنب.

"**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**"؛ هذا دليل على أن الإنسان غير معصوم من الزلل والذنب فإن زل وأذنب فليلحق ذلك بحسنات، والحسنة قد تكون التوبة كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد تكون طاعات وأعمال صالحة ليمحو ما كان منه من سيئات، والله سبحانه يقول: {**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**}.

وجاء في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في رجل أصاب قبلة من امرأة لا تحل له فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤ فدعاه رسول الله ﷺ وقرأها عليه، فقال الرجل: يا رسول الله هذا لي خاصة؟ قال: بل لجميع أمتي.

والحسنات على مراتب، فالتوبة يكفر الله بها حتى الكفر والشرك.

والحج المبرور والشهادة يكفر الله بهما الصغائر والكبائر.

والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان... إلخ يكفر الله بهن الصغائر دون الكبائر.

"وخالق الناس بخلق حسن"؛ في هذه الوصية الواردة في الحديث جمع بين التقوى وحسن الخلق، والناس لفظ عام يضم المسلم وغير المسلم من أهل الذمة والمعاهدين، فالمرء مأمور بمعاملة الناس بخلق حسن كما يحب لنفسه أن يُعامل معاملة حسنة، وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ الذي قال فيه ربه: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وقد جاء في الحديث الضعيف عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: "أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم الخليل عليه السلام: أن يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي وأن أسقيه من حظيرة قدسي".

❑ الفوائد:

- الأمر بتقوى الله في السر والعلن.
- الحسنات يذهبن السيئات.
- الحث على مخالقة الناس بخلق حسن.

الحديث التاسع عشر:

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: "كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف" [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.]

وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا"

❑ راوي الحديث:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وُلد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبل هجرة النبي ﷺ بأربع سنين، ثم توفي ﷺ وهو بن أربع عشرة سنة.

كان يُسمى الحَبر والبحر لكثرة علمه وحدَة فهمه، يُسمى بحَبر الأمة وفقيهها وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ فقال: "اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ" [رواه أحمد].

وعند الطبراني أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الله بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ: "اللهُمَّ أَعْطِهِ الْحِكْمَةَ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَوَجَدَ عَبْدُ الله بْنُ الْعَبَّاسِ بَرْدَهَا فِي ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ احْشِ جَوْفَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا"، فَلَمْ يَسْتَوْحِشْ فِي نَفْسِهِ إِلَى مَسْأَلَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَزَلْ حَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (هو أعلم الناس بما أنزل على محمد ﷺ)

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا نعلم أحدًا حنّكه رسول الله ﷺ غيره) –أي عبد الله بن عباس–.

وشهد ابن عباس مع علي بن أبي طالب عليه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا صفين وقتال الخوارج بالنّهروان.

وكان عمر يأذن له مع المهاجرين ويسأله ويقول: غص غوّاص، وكان إذا رآه مقبلا قال: (أتاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول.).

عمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبل وفاته وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف في فتنة ابن الزبير وصلى عليه محمد بن الحنفية.

❑ شرح الحديث:

"**كنت خلف النبي ﷺ** "؛ أي أنه كان رديفه على دابة لذلك إذا ذُكر أرداف النبي ﷺ، ذُكر من بينهم ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

"**يا غلام**"؛ **الغلام اصطلاحًا هو**: الصبي من ولادته إلى ما قبل الاحتلام أي من كان دون البلوغ، وتحمل ابن عباس لهذا الحديث وهو في هذه السن دليل على نبوغه وحدة ذكائه.

"**إني أعلمك كلمات**"؛ أي بضع كلمات معدودات وجيزات، والكلمة تُطلق على اللفظ المفرد أو على مجموع الكلام فكلمة الإخلاص هي "لا إله إلا الله"، والكلمات التي سيعلمها النبي ﷺ لابن عباس عبارة عن جمل.

"**احفظ الله يحفظك**"؛ وهذا الحفظ يكون بالتزام أوامره تعالى واجتناب نواهيه وحدوده، وتعبده وفق ما جاء به النبي ﷺ لا وفق البدع والأهواء، حينها يتحقق قول النبي "يحفظك"، لأن الجزاء من جنس العمل، تحفظ حدود الله وتلتزم أوامره وتجتنب نواهيه فيجازيك سبحانه بأن يحفظ عليك أمور دينك ودنياك.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تالله مَا عدا عَلَيْك الْعَدو إِلَّا بعد أَن تولى عَنْك الْوَلِيّ فَلَا تظن أَن الشَّيْطَان غلب وَلَكِن الْحَافِظ أعرض). ا.هـ [الفوائد ص٦٨].

"**احفظ الله تجده تجاهك**"؛ وفي الرواية الأخرى لغير الترمذي قال: "تجده أمامك" أي أن العبد متى ما حفظ الله سيرعاه المولى ويسدده ويحفظه ويحوطه ثم يجد ثواب أعماله في الدنيا قبل الآخرة.

وقد قيل أن تجاهك بمعنى معك، ومعية الله تعالى تنقسم إلى قسمين؛ معية عامة وتكون لجميع الخلق، وهي معية العلم والإحاطة، قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ المجادلة: ٧

ومعية خاصة وهي معية الحفظ والتوفيق، وتكون للمصطفين الأخيار الذين يحبهم الله تعالى، وقد قال في محكم التنزيل: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، وقال أيضًا على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}، فهذه هي المعية الخاصة التي يخص الله بها من أحبهم من عباده المتقين الصالحين.

"**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**"؛ وهذا مصداقًا لقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فلا معبود بحق إلا الله ولا يُطلب العون إلا منه وهذا من تمام الإخلاص في العمل والعبادة، والسؤال هو الدعاء فلا تدعو غير الله ولا ترجو وتتوسل إلاّه، وإن كان الإنسان بطبعه يحتاج العون أحيانًا ممن هم حوله، ولكن

على المرء أن يعلق قلبه أولًا بالله، وأنه وإن اضطر لطلب العون من أحد ما فقلب هذا الشخص بين يدي الله تعالى وهو الذي يوفقه لأن يجيبه في ما سأله وطلبه منه.

وهناك لطيفة حول السؤال والجواب في القرآن الكريم؛ فالمتأمل في الأسئلة التي وردت فيه يلاحظ أنها كانت بصيغة " يسألونك عن ..." وتلحقها الإجابة "قل..."، ولكن في قوله تعالى: {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي**} جاءت الإجابة من دون "قل" ، بل {**فَإِنِّي قَرِيبٌ**} ، فلا واسطة هنا بين العبد وربه.

"واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"؛ أي أن هذه الأمة كلها مجتمعة لن ينفعوك أو يضروك بشيء إلا بما قدّره الله لك أو عليك، **"واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك"**، وقد قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} ، فكل المقادير قد كتبها الله قبل الخلق، ولذلك فلا أحد ولا الأمة بأسرها تستطيع أن تغير مما كتبه الله تعالى شيئًا، والأمة هنا ليست أمة الاستجابة (أي: أمة محمد ﷺ)، ولكنها أمة الدعوة (أي: كل الناس).

ولذلك قال النبي ﷺ : **"رُفعت الأقلام وجفت الصحف"**، المقصود بالأقلام القلم الذي جرى به كتابة المقادير، والصحف: اللوح المحفوظ، أي أن كتابة المقادير قد اكتملت في اللوح المحفوظ وفُرغ منها وكل شيء يجري في الكون وفق ما قُدّر من الله سبحانه وتعالى وكُتب، ومن الواجبات المتحتمات على المسلم الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره كما سبق وبينا في حديث جبريل عليه السلام.

"تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة"؛ وهذا مصداقًا لقوله تعالى: {**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**} ، فالعبد متى ما أخلص لله في أيام السّعة والرخاء، يجد مؤازرة الله سبحانه ونصرته له في أيام الشدة والعناء، ولنا في حديث الثلاثة الذين أغلق عليهم

الغار –كما في الصحيحين– دروس وعبر، فهؤلاء وبعد أن سدت الصخرة عليهم باب الغار وما من سبيل لخروجهم، لجؤوا إلى ربهم عزّ وجلّ فتوسّلوا إليه بما كان منهم ساعة الرّخاء، أولهم توسل ببر والديه، والثاني بحفظه للأمانة ثم ردها لصاحبه، أما الثالث فقد توسل إلى ربه بإعراضه عن الفاحشة بعد أن تهيأت له الأسباب ليأتي بها ولكنه امتنع خشية من ربه واتقاءً لغضبه وسخطه.

كذا سبب نجاة نبي الله يونس عليه السلام من بطن الحوت، قال تعالى: {**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**}.

وهذا النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إلا أنه كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ليكون من الشاكرين نعم الله عليه!

إنّها علاقة ربانية قمة في التجرد والإخلاص؛ تعرف ربك في رخائك فتشكره على نعمه وآلائه التي فيها تتقلب، وتتقرب إليه بصالح الأعمال، وما إن تصبك شدة حتى يأتيك الفرج وأبدًا لن يخذلك!

"**واعلم أن النصر مع الصبر**"؛ وقد قال تعالى: {**فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**}، وقال ﷺ: "لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا..." [متفق عليه]، فالنصر لا يأتي دون صبر وثبات.

"**وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**"؛ فما من شدة وما من ضيق إلا ويعقبها فرج إذا ما التجأ العبد إلى ربه، والله تعالى يقول: {**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**}.

بل قد قال الله تعالى: {**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**}. فالعسر واحد، واليسر يسران.

روى مالك في الموطأ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ قَالَ: كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعاً مِنَ الرُّومِ، وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مُنْزَلِ شِدَّةٍ، يَجْعَلِ اللهُ لَهُ بَعْدَهُ فَرَجاً. وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ. وَأَنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}.

❑ الفوائد:

- من حفظ الله في حدوده وشرائعه والتزم أوامره واجتنب نواهيه حفظه الله تعالى في دينه ودنياه.
- الجزاء من جنس العمل.
- من ضيع في دين الله وفرط فإن الله يضيعه وينساه، وقد قال تعالى: {**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}.
  وقال أيضا: {**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}.
- الإيمان بالقضاء والقدر.
- الأمة لا تضر ولا تنفع إلا إذا كان هذا الضرر أو النفع قد قدّره الله تعالى.
- عاقبة الصبر النصر، وعاقبة الكرب الفرج وعاقبة العسر اليسر.
- أن من أراد أن يتكلم في أمر عظيم فيحسن به أن يقدم له بمقدمة.
- تواضع النبي ﷺ.

الحديث العشرون:

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" [رواه البخاري].

❑ راوي الحديث:

عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أَبُو مَسعود الأَنْصَارِيّ، من بني الْحَارِث بْن الخزرج، هُوَ مشهور بكنيته، ويعرف بأبي مَسْعُود البدري، لأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يسكن بدرا.

ذكر بعض العلماء أن أبا مسعود شهد بدرا، والصحيح أنه لم يشهدها، وإنما قيل له: البدري لأنه كان يسكن ماء بدر، لكنه قد شهد العقبة مع الأنصار، وكان أصغر من شهدها.

مات أَبُو مَسْعُود سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. قيل: مات أيام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقيل: بل كانت وفاته بالمدينة فِي خلافة مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قد نزل الكوفة وسكنها، واستخلفه علي فِي خروجه إِلَى صفين عليها.

❑ شرح الحديث:

"**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى**"؛ فيه إشارة إلى ما للأنبياء من إرث، وفي ذلك دلالة على أن شرع من كان قبلنا هو شرع لنا ما لم يخالف شرعنا، وشرع من قبلنا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – شرع؛ جاء شرعنا بخلافه فهذا منسوخ بشرعنا.

٢ – شرع؛ جاء شرعنا بتأييده فهذا ثابت بشرعنا.

٣ – شرع؛ لم يأت ما يؤيده في شرعنا ولا ما يُنكره فهو شرع لنا على الصحيح من أقوال أهل العلم.

الحياء لغة: تقول: رجل حييٌّ ذو حياء بوزن فعيل، وامرأة حييَّةٌ، وللعرب في هذا الحرف لغتان؛ يُقال استحى الرجل يستحي بياء واحدة، واستحيَا فلان يستحيِي بياءين، وقد نزل القرآن باللغة الثانية في قوله عز وجل في سورة البقرة: {إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا} الآية...

والحياء اصطلاحًا: (انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا من اللوم فيه).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (الحياء خُلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير...)، وقيل: (هو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به ويُذمّ، ومحلّه الوجه ومنعه من القلب.)

"إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت"؛ لهذا القول معنيان:

أما الأول فهو أنك إذا فقدتَ الحياء صنعتَ ما بدا لك سواء كان ما تفعله مباحًا أو غير مباح، أي أنك إذا انعدم في نفسك واعز الحياء استبحتَ كل شيء، محمودًا كان أو مذمومًا.

وأما المعنى الثاني: أنه إذا كان هذا الأمر الذي تريد فعله مباحًا لا يُستحيى منه فافعله ولا تتحرج.

إذن فقوله ﷺ : "فاصنع ما شئت" هو أمر للإباحة على المعنى الثاني الذي لا حرج من صنعه، وهو للذم على المعنى الأول.

والحياء خصلة عظيمة في المسلم وقد ذكرها النبي ﷺ في أكثر من حديث، فقد قال صلوات ربي وسلامه عليه: (الحياء شعبة من الإيمان)، ولعله جُعل كذلك لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب الذنوب والمعاصي.

وجاء في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ مر برجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي، كأنه يقول: قد أضر بك، فقال رسول الله ﷺ: (دعه؛ فإن الحياء من الإيمان).

وعن عمران بن حصين كما في الصحيحين، عن النبي ﷺ قال: (الحياء لا يأتي إلا بخير).

وقد ورد في صفةِ النبي، عن أبي سعيدٍ الخُدرِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ النبي ﷺ أشدَّ حياءً مِن العذراءِ في خِدْرِها. [متفق عليه].

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن الحياء نوعان: أحدهما: ما كان خَلقًا وجبلّةً غير مكتسَب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير)، فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار، وقد رُوي عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من استحيى اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقِيَ.

والثاني: ما كان مُكتسبًا من معرفة الله، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فهذا من أعلى خصالِ الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان، وقد روي في مسند الفاروق أن النبي ﷺ قال لرجل: (استحي من الله كما تستحي رجلًا من صالح عشيرتك).

❑ الفوائد:

- قد يكون للأمم السابقة إرث يبقى فيتداوله الناس بينهم.
- تنزيل الحياء منزلة عظيمة وتبيان فضله.
- **الحياء نوعان**: حياء من الله تعالى وذلك بالتزام ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وحياء من عبيده بالكف عما يدنس الأخلاق ويخرم المروءة.

الحديث الواحد والعشرون:

عن أبي عمرو وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم). [رواه مسلم].

❑ راوي الحديث:

هو أبو عمرو، وقيل: أبو عمرة سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك ابن حطيط، بضم الحاء المهملة، ابن جشم بن ثقيف الثقفي الطائفي الصحابي، كان عاملاً لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على الطائف، واستعمله إذ عزل عثمان بن أبي العاص عنها، ونقله إلى البحرين.

روى عنه ابنه عبد الله، وعروة، وجبير بن نفير، ونافع بن جبير، وغيرهم، رضي الله عنهم. [انظر: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٢٣].

❑ التعليق على الحديث:

حديث جامع شامل لمهام الإسلام وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ومن جوامع الكلم التي خُصّ بها النبي ﷺ .

❑ شرح الحديث:

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السؤال نصف العلم).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَدِ اشْتَهَرَ قَوْلُهُمْ: حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ). ا.هـ[فتح الباري ١/ ١٢٥].

وهذا الحديث قائم على سؤال وجواب؛ سؤال من صحابي لبيب حصيف يريد أن يتعلم أمور دينه وأخراه، وجواب من نبي قدوة ومعلم أسوة **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}**.

"**يا رسول الله! قل لي قولًا في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا غيرك**"؛ الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله يطلب من النبي ﷺ قولًا في الإسلام ولا شيء غيره!

"**قال: قل آمنتُ بالله**"؛ والإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، فانطق بلسانك واعتقد بقلبك واعمل بجوارحك واثبت على ذلك؛ **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}**. تؤمن بالله إيمانا شاملًا، إيمانًا دفّتيه علم وعمل، وبهذا تكون حقًّا مسلمًا لله كما أمرك.

"**ثم استقم**"؛ والاستقامة اعتدال بلا اعوجاج، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما قرأ قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}** فقال: (آمنوا بالله واستقاموا على ذلك حتى ماتوا).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (آمنوا بالله ثم استقاموا ولم يروغوا روغان الثعالب).

فلا يكفي أن يزعم الإنسانُ الإيمانَ ثم لا يُتبعه بالعمل، بل إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل.

وأما استدلال المرجئة بعطف الله تعالى للعمل الصالح على الإيمان في آيات كثيرة؛ كقوله: **{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}** وقولهم العطف دليل التغاير، وقولهم بخروج العمل عن الإيمان، فهذا استدلال باطل مردود عليهم، حيث أن هذا عطف الخاص على العام لأهمية الخاص، كنحو قول الله تعالى: **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ}** [البقرة:٢٣٨]، فعطف الصلاة الوسطى –وهي صلاة العصر– على الصلوات لا يدل على التغاير، بل إن ذلك من عطف الخاص على العام لأهمية

الخاص، وكذا قوله تعالى: {**مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**} [البقرة ٩٨]، فعطف جبريلَ وميكال على الملائكة لا يعني أنهما ليسا من الملائكة، بل هو من عطف الخاص على العام -كما تقدم-.

- ❑ الفوائد:

- حرص الصحابة رضوان الله عليهم على العلم.
- وجوب الاستقامة بالتزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه والثبات على ذلك.
- الإيمان بالله وبما جاء في سنة نبيه ﷺ .

الحديث الثاني والعشرون:

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ ، فقال: "أرأيتَ إذا صلَّيتُ المكتوبات، وصُمتُ رمضان، وأحللتُ الحلال، وحرَّمتُ الحرامَ، ولَم أزد على ذلك شيئاً، أدخل الجنَّة؟ قال: نعم" [رواه مسلم].

ومعنى حرَّمت الحرام: اجتنبته، **ومعنى أحللت الحلال**: فعلته معتقدًا حلَّه.

❑ راوي الحديث:

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السّلميّ- يكنى أبا عبد اللهّ، وأبا عبد الرحمن، وأبا محمد- أقوال.

أحد المكثرين عن النبيّ ﷺ ، وروى عنه جماعة من الصّحابة، وله ولأبيه صحبة.

وفي الصّحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة، وروى البخاريّ في تاريخه بإسناد صحيح عن أبي سفيان عن جابر، قال: كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر.

وروى مسلم من طريق زكريا بن إسحاق، حدثنا أبو الزّبير أنه سمع جابرا يقول: "غزوت مع رسول اللهّ ﷺ تسع عشرة غزوة. قال جابر: لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعني أبي، فلما قتل لم أتخلّف."

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استغفر لي رسول اللهّ ﷺ ليلة الجمل خمسا وعشرين مرّة، أخرجه أحمد وغيره من طريق حماد بن سلمة عن أبي الزبير عنه.

وفي مصنف وكيع عن هشام بن عروة قال: كان لجابر بن عبد اللهّ حلقة في المسجد- يعني النبويّ- يؤخذ عنه العلم.

قال يحيى بن بكير وغيره: مات جابر سنة ثمان وسبعين، وقال علي بن المديني: (مات جابر بعد أن عمر فأوصى ألا يصلّي عليه الحجاج.) [انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٤٦].

▫ شرح الحديث:

رُوي أن الرجل السائل في هذا الحديث هو النعمان بن قَوقَل، وقوله للنبي ﷺ "أرأيتَ" يعني أخبِرني.

"**إذا صلّيتُ المكتوبات**"؛ أي الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة واقتصرتُ عليها ولم أزد، أي لا آتي بالسنن القبلية ولا البعدية، "**وصمتُ رمضان وأحللتُ الحلال وحرّمتُ الحرام**"، **وفسر الإمام النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ "**أحللتُ الحلال**": فعلته معتقدًا حِلَّه، "**وحرمتُ الحرام**": اجتنبته معتقدًا حُرْمَته.

فأن تُحلّ شيئًا أي أن تعتقد أنه حلال ثم تعمل به، وأن تُحرّم شيئًا أي أن تعتقد حرمته فتجتنبه، "وصمتُ رمضان" فقط ولم أصم تطوعًا كيوم عرفة وعاشوراء مثلًا.

وهنا ملاحظة: في هذا الحديث لم يذكر النبي ﷺ بقية الشرائع كالزكاة والحج، فأما الزكاة فلعله رأى فقر السائل فقدّر أن لا زكاة عليه، وأما الحج فلعله لم يكن حينها قد فُرض بعد، أو ربما لأن الزكاة والحج داخلين تحت إحلال الحلال وتحريم الحرام.

"**أدخلُ الجنة؟ قال: نعم**"؛ أي أن الاكتفاء بما فرضه الله على عبيده واجتناب ما حرمه ونهاهم عنه وهو المعروف بالْمُقتَصِدِ، فلا يزيد العبد على ما أوجبه الله عليه ولا يترك إلا ما حرّمه عليه فقد قام بالسبب الذي به يدخل الجنة برحمة الله.

ولكن قد يعتمد البعض على هذا الأمر ويكتفون بفعل الواجبات وترك المحرمات معتقدين أنهم بذلك قد ضمنوا الجنة!

وحينئذٍ نسألهم: من ضمن لكم أن ما أدّيتمـوه مـن واجبـات، قـد أدّيتمـوه عـلى أكمل وجه؟ وإلا فلم شرع الله النوافل لعباده؟ أو ليست قد شرعت ليصلح بها العبـد ما أصاب الفرائض من خلل وتقصير؟ ومعلوم أنه من تساهل في ترك النوافل قد يجره ذلك إلى التفريط في الفرائض.

- **الفوائد:**

- حرص الصحابة على السؤال عن سبل الجنة من أعمال.
- الأعمال سبب لدخول الجنة.
- عظم منزلة الصلاة وصوم رمضان.
- وجوب الاعتقاد بأن الحلال حلالٌ وأن الحرامَ حرامٌ.
- أن من نازع الله في التشريع ليس بمسلم وإن ادعى ذلك.

الحديث الثالث والعشرون:

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "الطُّهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها". [رواه مسلم].

❑ راوي الحديث:

كعب بْن عاصم الْأَشْعَرِي كنيته أَبُو مَالِك، وقيل: اسم أَبِي مَالِك عَمْرو.

وعداده فِي أهل الشام، وقيل: سكن مصر، وكان من أصحاب السفينة الأشعريين الذين قدموا على النبي ﷺ أيام خيبر.

روى عَنْهُ جَابِر، وأم الدرداء، وعبد الرَّحْمَن بْن غنم، وخالد بْن أَبِي مريم، مخرج حديثه عَنْ أهل المدينة.

وهو راوي حديث : (ليس من البر الصيام في سفر).

ويقال أنه توفي في خلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. [انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/ ٤٥٤].

❑ شرح الحديث:

"**الطُّهور شطر الإيمان**"؛ والطّهور بضم الطاء، وبفتحها "الطَّهور" مثل "وُضوء" و"وَضوء"، و"سُحور" و"سَحور"، فإذا وردت بالضم فهي تعني الفعل، وإذا وردت بالفتح فهي تعني المصدر؛ فالطُّهور هو التطهّر والطَّهور هو الماء الذي نتطهّر به، كذلك السُّحور هو تناول الطعام وقت السحر، والسَّحور هو الطعام المُعدِّ للأكل وقت السحر.

و"**الطُّهور شطر الإيمان**" فيه أقوال؛ منها أن المراد بالإيمان هنا الصلاة والله تعالى يقول: {**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**}، والصلاة لا تصح دون طهور وهذا المعنى الأخص.

أما المعنى الأعم وهو قول آخر فهو التزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، فيكون الطهور بذلك شطر الإيمان.

وكما أسلفنا أثناء شرحنا لبعض الأحاديث التي سبقت، قلنا أن الإيمان إما فعل وإما ترك، فالترك تخلي وتطهر والفعل إيجاد.

"**والحمد لله تملأ الميزان**"؛ قيل: الحمد ثناء على المحمود سواءً كان بالإفضال أو بالتفضل، أي: سواءً كان فاضلاً في ذاته، أو متفضلاً بنعمه على غيره، وحقيقة الحمد هو الثناء على المحمود لكمال ذاته وصفاته، ولا يوجد هذا إلا لله سبحانه. والحمد يكون باللسان بعد أن يطهر القلب من الأدران والأمراض، والمقصود بالميزان ميزان الأعمال الذي ستوزن به **ثلاثة أمور يوم القيامة**:

أولًا: وزن الأعمال.

ثانيًا: وزن الصحف والسجلات التي دُونت فيها الأعمال.

ثالثًا: وزن العاملين.

وقد دلت الأدلة على ذلك كله.

ثم قال ﷺ: "**وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض**" فيكون بذلك قد أردف التحميد بالتسبيح، فبالتحميد نثبت لله تعالى جميع صفات الكمال والجلال، وبالتسبيح ننزّهه سبحانه عن جميع النقائص وبذلك وبهذين اللفظين نبلغ غاية التوحيد؛ إثبات صفات الكمال والجلال لله وحده وتنزيهه عن كل النقائص.

"**والصلاة نور**"؛ أي الصلوات المكتوبة والنافلة، فهي نور للعبد، نور له في الدنيا والآخرة، نور في قلبه وعلى وجهه وفي قبره ويوم الحشر، وهذه صلاة الخاشعين المتدبرين المصلين صلاة مودع.

ومن اللطائف ما ذكره الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الموضوعات (٢/ ١١١): (أن شَرِيكا كَانَ مزاحا وَكَانَ ثَابت رجلا صَالحا، فيشتبه أن يكون ثَابت دَخَلَ على شَرِيك وَهُوَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَالْتَفَتَ فَرَأى ثَابتا فَقَالَ يمازحه: "مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ" فَظن ثَابِت لِغَفْلَتِه أَن هَذَا الْكَلَام الَّذِي قَالَ شَرِيك هُوَ من الاسناد). ا.هـ

"**والصدقة برهان**"؛ قال الجمهور أن الصدقة هنا هي فريضة الزكاة الواجبة على كل مسلم بلغ ماله النصاب، قال تعالى: {**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**}.

والنبي ﷺ يذكرها هنا إثر ذكره للصلاة مباشرة وقد سبق أن بينا أن الزكاة قرينة الصلاة، وقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (الزكاة قرينة الصلاة، الصلاة حق البدن، والزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة).

وهي برهان أي دليل على صدق الإيمان لشدة حب النفس للمال فلا يخرجه في سبيل الله إلا مؤمن صادق الإيمان.

"**والصبر ضياء**"؛ الصبر حبس النفس عما يجب الصبر عنه وعليه وهو ثلاثة أقسام: صبر على البلايا، وصبر عن المعاصي، وصبر على الطاعة، وأشدها الصبر عن المعاصي ومنازعة النفس، وإن كان الصبر على البلاء شديدًا أيضًا وكذاك الصبر على الطاعات.

ومن هنا يتوضح جليا أن المرء يحتاج الصبر للقيام بجميع التكاليف الشرعية، والله سبحانه يقول: {**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**}، ومن هنا كان أن وصف النبي ﷺ بالضياء لحرارته التي تتسلل إلى قلب المؤمن الصادق.

"**والقرآن حجة لك أو عليك**"؛ والقرآن هو كلام الله عز وجل الذي تكلم به وسمعه منه جبريل عليه السلام ونزل به على قلب محمد ﷺ.

ويكون حجة لك إذا صدقت ما جاء به وعملت به ونصحت له، ويكون حجة عليك إذا اتخذته ظهريا، فلم تصدق أخباره ولم تلتزم ما جاء فيه من أوامر ولم تنتهِ عما ورد فيه من نواهي ولم تسعَ ليكون الحكم الوحيد على وجه هذه الأرض، ولم تتله حق تلاوته. وعن النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: (إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضَع به آخرين).

"**كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**"؛ أي أن حال الناس عموما بين غدوٍّ وسعي، والغدو يكون صباحًا، والعبد بائع والسلعة نفسه، فيعتقها إن هو التزم طاعة الله سبحانه وهو القائل سبحانه: {**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**}، وبذلك يعتق نفسه من النار.

أما الذي أوبقها فهو الذي عاند واستكبر عن طاعة الله عز وجل.

❑ **الفوائد:**

- فضل الطُّهور الحسي والمعنوي والحث عليه.
- فضل التحميد والتسبيح.
- إثبات الميزان يوم القيامة في عقيدة أهل السنة والجماعة.
- فضل الصلاة والتي هي نور في الدنيا والآخرة.

- فضل الصدقة والتي هي دليل على صدق الإيمان.
- فضل الصبر وإن كانت له حرارة.
- وجوب العناية بالقرآن تلاوة وتدبرا وعملا والتحذير من اتخاذه ظهريا.
- حال الناس بين معتق لنفسه من النار وموبق لها.

الحديث الرابع والعشرون:

عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". [رواه مسلم].

❑ شرح الحديث:

"**عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه**"؛ إذا وجدنا في علم الحديث عبارة "فيما يرويه عن ربه"، فهذا يعني أن الحديث الذي بين أيدينا حديث قُدُسي، فما هو الحديث القدسي؟

يُلْقِي النبي ﷺ أَحْيَانًا على أصحابه مواعظ وأحكامًا يحكيها عن ربه عَزَّ وَجَلَّ ليست وَحْيًا بلفظه ومعناه مُنَزَّلاً فَيُسَمُّونهَا قُرْآنًا، ولا قولاً صَرِيحًا يسنده عَلَيْهِ الصلاةُ والسَّلاَمُ إلى نفسه إسنادًا مباشرًا فَيُسَمُّونهَا حَدِيثًا نبويًّا، وإنما هي أحاديث يحرص النَّبِيُّ

على تصديرها بعبارة تدل على نسبتها إلى الله، لكي يشير إلى أَنَّ عمله الأوحد فيها حكايتها عن الله بأسلوب يختلف اختلافًا ظَاهِرًا عن أسلوب القرآن، ولكن فيه – مع ذلك – نفحة من عالم القدس، ونورًا من عالم الغيب، وهيبة من ذي الجلال والإكرام.

تلك هي الأحاديث القدسية، التي تُسَمَّى أَيْضًا إِلَهِيَّةً وَرَبَّانِيَّةً.

وقد عني العلماء بجمع الأحاديث القدسية في مؤلفات خاصة، منها كتاب "الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية" لزين الدين المناوي، جمع فيه (٢٧٢) حديثا قدسيا.

"**يا عبادي!**"؛ نداء تكرر عشر مرات من الله عز وجل لعبيده، فيه رحمة وشفقة بهم، وترغيب وترهيب لهم، وفيه أيضًا تشريف وتكريم بالعبودية لله وحده لا شريك له؛

ومما زادني فرحًا وتيهًا *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي *** وأن صيرت أحمد لي نبيا

"**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**"؛ الظلم هو الاعتداء على حقوق الآخرين والتصرف في ملكهم دون وجه حق، وقد حرم الله تعالى على نفسه الظلم لأنه لا يليق بجلاله عز وجل، قال الله تعالى في مُحكم التنزيل: {**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**}.

"**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**"؛ أي نزَّهت نفسي عن الظلم ومنعتها منه، "وجعلته بينكم محرّما" ؛أي صيّرته محرّما ونهيتكم عنه، فالظلم سبب هلاك الأمم وفنائها حتى وإن كانت أمّة مسلمة، وقد تقوم أمّة كافرة

وتبقى بسبب عدلها، ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد شهد بالعدل للنّجاشي وأنه لا يُظلم أحد بجواره رغم أنه حينها كان نصرانيا!

جاء في السيرة لابن هشام (١/ ٣٢١): أن رسول الله ﷺ قال: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه".

ولطالما حذر الله عزّ وجلّ ونبيّه ﷺ والخلفاء من بعده من الظلم، والله تعالى ينصر المظلوم ولو كان كافرًا.

والنصوص الواردة في ذلك كثيرة، جمع أغلبها الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر، حيث جعل الظلم الْكَبِيرَة السَّادِسَة والْعشْرُينَ. [انظر: الكبائر ص١٠٤].

ومن أعظم أنواع الظلم الشّرك والله تعالى يقول: {**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**}.

"**فلا تظالموا**" ؛أي اجتنبوا الظلم فيما بينكم ولا تظلموا أنفسكم ولا غيركم من العباد.

"**يا عبادي! كلكم ضال**"؛ والضّلال لغة: الضياع والتيه، والمراد به هنا الزيغ عن الحق والميل عن الصراط المستقيم عياذًا بالله، وكلّكم ضال هذا الأصل في العباد، ثم يأتي الاستثناء "إلاّ من هديتُه" أي إلاّ من شاء له الله تعالى الهداية والرّشاد.

"**فاستهدوني أهدكم**"؛ أي أطلبوا الهداية منّي وحدي ولا تطلبوها من غيري لأنه لا أحد يهدي غير الله تعالى، والمسلم المكلّف يستهدي ربّه في خمس صلوات مفروضات في اليوم واللّيلة في كل ركعة؛ {**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**} عدا ما زاد من النوافل.

"يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم"؛ فما من طعام في هذه الدنيا إلا وقد أوجده الله سبحانه لعبيده، وقد يتوفر الطعام ولكن يصعب على العبد الوصول إليه إلا بقدرة الله وحده لذلك فكلنا جائع إلا من أطعمه الله تعالى، "فاستطعموني أطعمكم" أي أطلبوا مني إطعامكم وسأطعمكم.

"يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم"؛ فما من عبد إلا وقد خرج من بطن أمه عاريا ولم يُكسَ بعدها إلا بقدرة الله تعالى، "فاستكسوني أكسكم" أي أطلبوا مني كسوتكم وسأكسوكم.

"يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم"؛ أي إنّكم يا عبادي تخطئون إمّا بترك ما أمرتكم به أو بإتيان ما نهيتكم عنه، ولكن وإن عظمت ذنوبكم وبلغت عنان السماء فإني جعلت لمحوها بابا لا يخيب طارقه ألا وهو باب الاستغفار **"فاستغفروني أغفر لكم"**.

"يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني"؛ أي أنكم لا تستطيعون أن تضروني أو تنفعوني، فالضار والنافع هو الله وهو ليس في حاجة لطاعة العباد وعباداتهم بل هو غني عن العالمين، والمنتفع هم العبيد، كذلك إن هم عصوه وقصّروا وفرّطوا فلن يضرّوا الله شيئا بل أنفسهم يضرّون.

"يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا"؛ أي لو أن كل العباد مذ خُلقوا إلى يوم يُبعثون، لو أنهم كلهم كانوا على أتقى قلب رجل ما زاد ذلك في ملك الله شيئا.

قال الله تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

"**يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا**"؛ كذاك لو كان كل الخلق من الأولين والآخرين على قلب أفجر رجل منهم ما نقص ذلك من ملك الله شيئا وما ضروه أبدا.

قال الله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

"**يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر**"؛ أي أن الله سبحانه غني حميد عكس عباده الفقراء إليه، ولو اجتمع الأولون والآخرون من الثقلين وسأل كل واحد منهم الله شيئا فأعطاه إياه، لم ينقص ذلك مما عند الله إلا كما تنقص الإبرة إذا أدخلت البحر من ماء ذاك البحر أي لا شيء يُذكر!

"**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفّيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**"؛ أي إنّما هذا ما كسبتم في الدنيا، هذه حسناتكم وهذه سيئاتكم، هذه طاعاتكم وهذه ذنوبكم أحصيها لكم بالتمام والكمال فلا زيادة ولا نقصان، فإما فوز وجنان وإما نار وخسران.

قال تعالى: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}.

وقال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

❑ **الفوائد:**

- أن من الأحاديث ما يرويه النبي ﷺ عن ربه ويسمى الحديث القُدُسي.
- أن الله حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده.

- أنه بقدر غنى الله سبحانه عن عباده بقدر افتقارهم وحاجتهم إليه.
- أن الله تعالى يحب سؤال عبيده له.
- أن العباد لا يملكون لله نفعا ولا ضرا بل يعود نفعهم وضرهم إلى أنفسهم وأن ملك الله كامل لا يزداد بطاعة المطيعين ولا ينقص بمعاصي العاصين.
- أن العباد قد يخطئون ودواء ذلك الاستغفار والتوبة.
- أن الله لو أعطى جميع عباده مسألتهم ما نقص ذلك من ملكه شيئا.
- أن العباد سيجدون ما عملوا في دنياهم حاضرا في أخراهم.

الحديث الخامس والعشرون:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: أنَّ أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنَّبـيِّ ﷺ : "ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور، يُصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصـدَّقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صـدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمر بمعـروف صـدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة، قـالوا: يـا رسـول الله! أيـأتي أحـدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكـذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". [رواه مسلم].

❑ شرح الحديث:

"أن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ "؛ هم قـوم ذوو صـحبة، قيـل في بعـض الروايات أنهم من فقراء المهاجرين أو الأنصار قدموا على النبي ﷺ استزادةً في الخـير، فهم يصلون ويصومون ولكنهم غبطوا صحبًا آخرين من أهل الدثور، وأهـل الـدثور هم أهل الأموال الذين قد آتاهم الله من فضله ووسع لهم في الـرزق فبـاتوا يتصـدقون بفضول أموالهم، وهم مساكين لا مال لديهم ليتصدقوا مـثلهم، فغبطـوهم عـلى ذلـك ولكنهم لم يحسدوهم والغبطة محمودة ومشروعة عكس الحسد المذموم والمحرم.

"أوليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسـبيحة صـدقة، وكـلِّ تكبـيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمـر بمعـروف صـدقة، ونهـي عـن المنكر صدقة"؛ أي قولك: سبحان الله. صدقة، وقولك: الله أكبر. صدقة، والحمد لله؛ صدقة ولا إله إلا الله؛ صدقة، وأمر بطاعة أو مستحب صدقة، ونهي عن منكر أو محرم صدقة، فالنبي ﷺ رغم علمه بأن هؤلاء السائلين فقراء إلا أنـه لم يُشرـ علـيهم بسـبل

توفير الرزق والمال، بل قد سما بهم عن الدنيا وأشار عليهم بصدقات أخرى عظيمة يستطيعها كل مسلم وهي ليست خاصة بالفقراء الذين لا طاقة لهم بآداء العبادات المالية، وإنما تشمل كل مُكلّف، فذِكرُ الله تعالى مأمور به كل من آمن به، بل هو عبادة كل المخلوقات، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وهو عبادة غير مؤقتة وتكون باللسان نطقًا وبالقلب تدبّرًا وتفكّرًا.

"**وفي بُضع أحدكم صدقة**"؛ نلاحظ أن الصحابة قد اقتنعوا بكل أنواع الصدقات التي أشار بها عليهم النبي ﷺ، ولكنهم عند ذكر هذا الجزء: "وفي بضع أحدكم صدقة" استغربوا! "قالوا! يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"؛ وهنا يبرز دور النية الصالحة وقد قلنا سابقًا أن النية قد تصيّر العادة إلى عبادة يُثاب المسلم عليها، فالرجل متى ما أتى زوجته ونيته من وراء ذلك عفة نفسه وإحصانها عن الحرام، وعفة زوجه وتكثير النسل، متى ما كانت هذه هي النية كان له في وطء زوجته أجر وثواب.

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه فقال: (بَابُ مَنْ طَلَبَ الوَلَدَ لِلْجِهَادِ)، وأخرج فيه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا من قصة سليمان عليه السلام حين قال: "لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". الحديثَ.

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (وَاللهِ إِنِّي لَأُكْرِهُ نَفْسِي عَلَى الْجِمَاعِ؛ رَجَاءَ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنِّي نَسَمَةً تُسَبِّحُ اللهَ).

ولتوضيح هذا الأمر وتقريبه إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم استعمل النبي ﷺ قياس العكس فبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كيف يكون قضاء الشهوة في الحرام وزرًا وبالتالي يكون قضاؤها في الحلال أجرًا.

ومن الأمثلة على قياس العكس ما ذكره الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره حين قال: (أنه قد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "من جهز غازياً فقد غزا"، فجعل القاعد إذا جهّز المجاهد مشاركاً في الغزو ، ومن هذا أيضاً قوله "إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله". وهذا يدل – بقياس العكس – أن من جهّز وأعان الكافر في قتاله فقد شاركه في قتاله في سبيل الطاغوت). ا.هـ[التبيان في كفر من أعان الأمريكان ص٦٤].

❑ الفوائد:

- حرص الصحابة رضوان الله عليهم على فعل الخيرات والتنافس في ذلك.
- اشتراك العباد عامة في العبادات البدنية.
- الصدقة لا تكون فقط بالمال.
- الحث على الذكر بالقلب واللسان.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصدقات المتعدية النفع من العبد القائم بها إلى غيره ممن أُمِر بمعروف أو نُهي عن منكر.
- استخدام النبي ﷺ لقياس العكس لتقريب الصورة وتقريرها في الأذهان وتيسير الفهم.

الحديث السادس والعشرون:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : "كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تَعدلُ بين اثنين صدقة، وتُعينُ الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة." [رواه البخاري ومسلم].

❑ شرح الحديث:

السُّلامى: الأعضاء والمفاصل.

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: خلق الله ابن آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، وعزل حجرًا عن طريق المسلمين، أو عزل عظمًا، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى أمسى من يومه، وقد زحزح نفسه عن النار."

"كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس"؛ على الإنسان أن يتصدق يوميا على أعضاء جسمه صدقة شكر، فهي نعم من الله والنعم تحتاج شكرًا، وهذا الشكر يحفظ علينا هذه الآلاء ويصون هذه الأعضاء، وإن كان من المحال على العبد أن يؤدي تمام الشكر لله تعالى.

والصدقة قد تكون فعليّة أو قوليّة، وقاصرة أو متعديّة، وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذرّ: "ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى"، فبصلاة هاتين الركعتين، تتحرك المفاصل كلها فتؤدي ما عليها من صدقة يومية.

"تعدل بين اثنين صدقة"؛ أي تفصل بين اثنين بالحكم أو الصلح فهذه صدقة. وهو أمر عظيم، حتى أن الشارع الحكيم قد أجاز الكذب لأجل الإصلاح بين

المتخاصمين، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثًا: كَذِبُ الرَّجُلِ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا، وَرَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَرَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ".

"**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة**"؛ أي تساعده على الصعود على دابته أو على وضع متاعه من طعام وشراب -ونحوه- عليها.

"**والكلمة الطيبة صدقة**"؛ سواء كانت في حق الله كالذكر والدعاء والتسبيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في حقّ عباده بالأدب وحسن الخلق.

"**وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة**"؛ وقد جاء في أبي هريرة مرفوعا عند البخاري أن الرجل "إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ"، وعند مسلم من حديث حمران مولى عثمان مرفوعا: "مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، غُفِرَ لَهُ مَا خَلَا مِنْ ذَنْبِهِ".

"**وتميط الأذى عن الطريق صدقة**"؛ أي تزيل من طريق المسلمين ما قد يؤذيهم من شوك أو زجاج أو حجر أو ما شابه، والإيمان كما عرّفه النبي ﷺ بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

❑ **الفوائد:**

- كلّ سلامى من الإنسان عليها يوميًّا صدقة.
- حثّ المسلم على الإصلاح بين متنازعين، وعلى مساعدة الغير.

- أحسن الكلام وأفضله ما كان ذكـرًا، أو قـراءةً أو تعلّـمًا أو دعـوةً إلى الله عـزّ وجلّ.
- فضل المشي إلى المساجد، وإماطة الأذى عن الطّريق.

الحديث السابع والعشرون:

عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" [رواه مسلم].

وعن وابصة بن معبد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: "أتيتَ تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفتِ قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" حديث حسن، رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.

❑ راوي الحديث:

هما راويان؛ الأول النواس بن سمعان بن خالد بن عَمْرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عَامِر بن صعصعة العامري الكلابي ويُقال الأنصاري، معدود فِي الشاميين. وقد روى عن النبي ﷺ سبعة عشرة حديثًا.

والثّاني هو وابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث بن مالك بن الحارث بن بشير بن كعب بن سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، ويكنى أبا سالم.

صاحب النبي ﷺ وروى عنه أحاديث. سكن الكوفة ثم تحول إلى الرَّقة وبها مات وقُبر رضي الله عنه وأرضاه. [انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٥٦٣].

❑ التعليق على الحديث:

قال الإمام ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلّقًا على هذا الحديث: (هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، بل من أوجزها إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي ﷺ بينهما وجعلهما ضدين.) ا.هـ

❑ شرح الحديث:

يجمع النبي ﷺ في هذا الحديث بين ضدّين بقوله: **"البر حسن الخلق"** و **"الإثم ما حاك في النفس"**.

والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير، والله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}، والقصد هنا أن البر يكون بالتزام الطاعات والتقوى باجتناب المنهيات.

و **"البر حسن الخلق"** فيه اختصار لجميع معاني البر في حسن الخلق كقوله ﷺ **"الحج عرفة"** و **"الدين النصيحة"**، وحسن الخلق يشمل المعاملات مع الخالق والمخلوق؛ مع الخالق بتلقي شرائعه وأوامره ونواهيه باستسلام تام ورحابة صدر دون سخط ولا تذمر وتقبل الأقدار برضا تام وإن جاءت خلاف ما نشتهي ونحب، ومع المخلوق بالأدب والأخلاق الحسنة وطيب المعاشرة والإبتسامة صدقة.

أما الإثم فهو ما حاك في نفسك، أي ما يصيب قلب المؤمن الصادق بالضيق والتردد ويخشى أن يبدو عليه فيعلمه الناس وهو من المكروهات المذمومة التي يُستحيَى منها.

"**وإن أفتاك الناس وأفتوك**" أي حتى وإن أفتاك الناس بجواز فعل ما، ولكنك تجد في نفسك حرجًا من فعله وتستحي أن يطلع عليه الناس، وهذا يذكرنا بحديث سابق وهو: "**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات**"، فميزان المرء هنا الذي يقيس به ما حاك في نفسه وتردد في صدره هو الإيمان وإن أفتاه المفتون بجواز الفعل لأن المفتي لا يعلم باطن المستفتي فيفتيه بما بدا له ظاهرًا.

وهذا فيما لم يرد به نص شرعي يوجب الانقياد والسمع والطاعة سواء قبلته النفس أو كرهت.

❑ **الفوائد:**

- البر والإثم اسمان جامعان لجميع خصال الخير والشر.
- البر حسن الخلق فكلما حسنت من خلقك فأنت في بر.
- قلب المؤمن يحوك فيه الإثم وإن جهل أنه إثم.
- الإيمان في القلب مقياس لمعرفة الإثم.
- في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله – كما تقدم-.

الحديث الثامن والعشرون:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظةُ مودِّع فأوصِنا، قال: "أُوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنَّه مَن يَعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة" [رواه أبو داود والترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح"]

❑ راوي الحديث:

هو عرباض بن سارية السلمي ويُكنى أبا نجيح، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد أصحاب الصُّفّةِ التي في مسجد رسول الله ﷺ ومن البكائين الذين نزل فيهم قول الله تعالى: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}، سكن حِمص وروى عن النبي ﷺ ويُقال أنه توفي في السنة الخامسة بعد السبعين من الهجرة النبوية الشريفة. [انظر: تاريخ الإسلام ٢/ ٨٦٢].

❑ شرح الحديث:

"وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون"؛ والموعظة من وعَظ يعِظ فلانًا أي نصحه وذكّره بالعواقب.

ذكّره بما يجعله يتوب إلى الله ويصلح من سيرته، أمره بالطاعة ووصاه بها، {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ}.

وجِلت أي فزعت فالوجل هو الفزع؛ قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، وهذه من صفات المؤمنين؛ لين القلوب وسرعة تأثرها إذا وُعظت وذُكر الله عندها. أما العُصاة فإن الذنوب تقسّي قلوبهم وتحجب عنها نور الإيمان فلا يعودون يتأثرون بذكر الله وسماع آياته، نعوذ بالله من قلب لا يخشع!

"**موعظةً بليغةً**"؛ أي موعظة عظيمة مؤثرة، الواعظ فيها سيد البشر وأبلغهم وأفصحهم صلى الله عليه وآله وسلم، والموعوظ صحابته الأخيار أصحاب ألين القلوب من بعد الأنبياء، تلك القلوب التي اطلع الله عليها وعلم سلامتها وصلاحها رضي الله عنهم وأرضاهم.

"**فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا**"؛ أدرك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أن حال النبي هاهنا مع هذه الموعظة مختلف وهذا من فراسة المؤمن فسألوه أمرًا عظيمًا كعادتهم؛ "فأوصنا" والوصية كما أشرنا سابقًا لا تأتي إلا من قلبٍ ناصحٍ محبٍّ يريد بك خيرًا.

"**قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل**"؛ أي أطيعوا الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وباستسلامكم التام له بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وقبول شرائعه، فتجعلون بينكم وبين عذاب الله واقٍ.

"**وبالسمعِ والطّاعةِ وإن تأمّر عليكم عبد**" ؛ لقد ربط النبي ﷺ بين تقوى الله عز وجل والسمع والطاعة لولاة الأمر - لأنه قال وإن تأمّر أي وإن تولّى عليكم عبد - ، ليبين طردية العلاقة بينهما وأن التقوى سبيل العبد ليسمع ويطيع، ولكن ما هو شرط الطاعة الذي لم يُذكر في هذا الحديث؟

عن يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : سَمِعْتُ جَدَّتِي تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: (وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا) [رواه مسلم].

وروى أبو بكر ابن أبي عاصم بسنده عن أم الحصين قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن أُمِّر عليكم عبد حبشي مجدع، فاسمعوا وأطيعوا إذا قرأ بكم كتاب الله).

فشرط الطاعة وحرمة الخروج هو أن يقودنا بكتاب الله، أما إن قادنا بدساتير كفريّة وقوانين وضعيّة فلا سمع له ولا كرامة ولو كان من أعزّ بطون بني هاشم، فـ (مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) [رواه مسلم].

روى البخاري عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين.)

ولقد استهل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطبته الأولى بعد توليه الخلافة بقوله: (يا أيها الناس إني قد وُليتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوموني ... أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولهَ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم.) ا.هـ [رواه عبد الرزاق في مصنفه، والمتقي الهندي في كنز العمال . قال ابن كثير : إسناده صحيح]،

فكيف يُطاع من كفر بالله ورسوله ﷺ ؟!

وقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا). ا.هـ [انظر تفسير القرطبي والبغوي وغيرهما عند الآية ٥٩ من سورة النساء].

ومفهوم المخالفة من قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه إن لم يفعل ذلك، أي إذا لم يحكم بما أنزل الله ولم يؤدِّ الأمانة فلا سمع له ولا طاعة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومعلوم أن من كان مسلمًا وجب عليه أن يطيع المسلم ولو كان عبدًا، ولا يطيع الكافر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن أُمرَ عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله ودين الإسلام") ا.هـ [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٤٣]

فهل أقام حكام العرب في من تحت سلطانهم دين الإسلام؟! أم أقاموا دين الكفر من ديمقراطية وعلمانية وشيوعية وقومية وبعثية وسلولية ؟!

ويجدر التنبيه هنا إلى أنه: قد يلتبس على البعض ما جاء في هذا الحديث: (وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) في مسألة قرشية الإمام وقول النبي ﷺ : "عبد".

وللعلماء في شرح هذا الحديث أقوال:

١. أنَّ المراد به ضرب المثل لتأكيد الحكم، كقول النبي ﷺ : (من بنا لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة) [رواه ابن ماجه]، فالمسجد لا يمكن أن يكون كمفحص قطاة، وإنَّما المراد في مثل هذا تأكيد الحكم ببيان ثبوته في أقلِّ الأحوال، وإن لم يكن المذكور منها، وهذا ما ذكره ابن دقيق العيد في الشرح المنسوب له للأربعين النووية.
٢. أي إذا تغلب وآل الحكم إليه، وهذا قول بعض أهل العلم وهو ضعيف، والله أعلم.
٣. أن ولاية العبيد تكون من جهة إمام قريش، ويشهد له ما أخرجه الحاكم عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الأئمة من قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها، ولكل حق، فآتوا كل ذي حقٍ حقه، وإن أمرت عليكم قريش عبدًا حبشيًّا مجدعًا فاسمعوا له وأطيعوا) [أخرجه الحاكم] وهذه أقوى الأقوال.

"وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا"؛ يخبر النبي ﷺ بأمر غيبي مما أطلعه عليه ربه وهذا من معجزاته، وهو الذي حدث، فقد عاش الصحابة من بعده

لعقود طويلة فرأوا من الخلاف والفتن ما الله به عليم. فما الحل حينها وبماذا نصحهم النبي ﷺ ؟

"**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**"؛ أي الزموا ما أنا عليه اليوم ولا تبدلوا ولا تغيروا ثم الزموا ما سيكون عليه الخلفاء الراشدين من بعدي لأنهم سيخلفونني وسيكونون على ما أنا عليه وهم على طريق الرشاد والهداية.

وقد أجمع العلماء من أهل السنة والجماعة على أن الخلفاء الراشدين هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن.

وذلك لحديث: (خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثَلَاثُونَ عَامًا ثمَّ يؤتي الله مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) [رواه أبو داود والترمذي].

"**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**"؛ من جديد يُحذر النبي ﷺ صحبه ومن ثمة أمته جمعاء من الإحداث في دين الله وشرائعه، وأن يبتدعوا في الدين ما لم يكن له أصل فيه، **قال الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من سن سنة وزعم أنها حسنة يعني: ابتدع شيئًا لم يكن موجودًا وظن أنه حسنة فقد اتهم محمدًا ﷺ بأنه لم يبلغ الرسالة.). ا.هـ.

والله تعالى يقول: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**}، فيها إشارة إلى كمال وتمام الدين،

"**وكل بدعة ضلالة**" والبدعة كما قيل هي إيجاد شيء ليس له نظير في الشرع، ولم يعرفه الصدر الأول عمن له حق التشريع من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، أو الخلفاء الراشدين.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا توجد بدعة إلا ضلالة، أما قول عمر: نعمت البدعة، فإنه أراد بذلك الصورة والهيئة التي لم تكن موجودة من قبل، ولكنه بذلك التشريع موافق لسنة رسول الله ﷺ). ا.هـ

❑ الفوائد:

- الحث على الوعظ كلما تهيأت الأسباب وسنحت الفرص لما فيه من خير في الدنيا والآخرة وتذكير بالله عزّ وجلّ.
- السمع والطاعة لولاة الأمر ما حكمونا بكتاب الله فإن ارتكبوا ناقضًا وارتدوا فلا سمع ولا طاعة.
- التحذير من الابتداع في دين الله وأنه من الضلال.
- منقبة الخلفاء الراشدين المهديين.

الحديث التاسع والعشرون:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنَّة ويُباعدني عن النار، قال: "لقد سألتَ عن عظيم، وإنَّه ليسير على مَن يسرَّه الله تعالى عليه؛ تعبد اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألاَ أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، وصلاةُ الرجل في جَوف الليل، ثم تلا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حتى بلغ {يَعْمَلُونَ}، ثم قال: ألاَ أخبرك برأس الأمر وعمودِه وذروة سَنَامه؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: رأسُ الأمر الإسلامُ، وعمودُه الصلاة، وذروة سَنَامه الجهاد، ثم قال: ألاَ أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟ قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، وقال: كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبيَّ الله! وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: ثكِلتك أمُّك! وهل يَكُبُّ الناسَ في النَّار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟" [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

❑ شرح الحديث:

"**يا رسول الله! أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار**"؛ من جديد معاذ رضي الله عنه يسأل عن عظيم، والنبي ﷺ يُجيب، وهذا العظيم هو عمل يُدخل صاحبه الجنة ويُبعده عن النار، ولأجل ذلك أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب، ومع اعتراف النبي ﷺ بكونه أمر عظيم إلا أنه يسير مُستطاع، إذ يقول النبي عليه الصلاة والسّلام: "**وإنه ليسير على من يسّره الله تعالى عليه**"، ولله الحمدُ من قبل ومن بعد أن جعل ديننا الحنيف دين يسر لا عسر مصداقًا لقوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.

وقد قال النبي ﷺ: "اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ"، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: ٦] الآيَةَ... [متفق عليه].

"**تعبد الله لا تُشرك به شيئا**"؛ هذه أولى الخطوات نحو الجنة والابتعاد عن النار بل وأهمها، عبادة الله وحده لا شريك الله والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه).

فتفرده سبحانه وتعالى بكل أنواع العبادات وهو القائل عز من قائل: {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**}، وهذا هو توحيد الألوهية الذي أنكرته قريش فلم ينفعها توحيد الربوبية الذي كانت تأتي به، قال تعالى: {**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}.

"**وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**"؛ وهذه أركان الإسلام الخمسة وقد تناولناها في حديث جبريل عليه السلام وحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا "بُني الإسلام على خمس".

"**ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل)**"؛ بعد أن ذكر النبي ﷺ أركان الإسلام، انتقل إلى النوافل ووضعها في أبواب الخير، و"**الصوم جُنّة**" والجُنّة كل ما ستر أو وقِيَ، أي أن الصوم يقي صاحبه ما يؤذي من الشهوات والمعاصي، قال تعالى: {**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**}، أي جعلوا أيمانهم الفاجرة سترة يتقون بها.

ولكن هذه الجُنّة أي السترة قد تخرقها بعض الخوارق وقد قال بعضُ السلف: (الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يَرقعه، فمن استطاع منكم أن لا يأتي بصوم مُخَرَّق فليفعل.)

ومتى ما كان الصوم في الدنيا جُنّةً لصاحبه من الشهوات والمعاصي، كذاك كان له في الآخرة جُنّةً من النار.

"**والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار**"؛ والمقصود بالصدقة هنا الإنفاق في سبيل الله سواء كان فرضًا أو تطوّعًا، فهو يطفئ الخطيئة أي يمحو الذنب كما يطفئ الماء النار.

"**وصلاة الرجل في جوف الليل**" أيضًا مثل الصدقة تطفئ الخطيئة، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ" [رواه مسلم].

ثم تلا ﷺ قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، هؤلاء الذين يقومون الليل ماذا أعد الله لهم جزاءً على ذلك؟ قال تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وهنا لطيفة: إنه ولما كان قيام الليل عبادة خفية عن أعين الناس حتى لا يشوبها الرياء فيحبطها، كذلك أخفى الله ما ينتظر عبده القائم في جوف الليل من مثوبة وأجر فقال: {**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}.

ولكن هل ذكر النبي ﷺ للرجل هنا دون ذكر المرأة، يعني أنها - أي المرأة - مستثناة من الحديث؟ لا، فإذا ورد اللفظ عمومًا ولم ترد قرينة تشير إلى أن الأمر متعلق

بالرجال دون النساء أو العكس فذلك يعني أن الخطاب موجه للرجل والمرأة على حد سواء.

"ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذِروَة سِنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" ؛ أما رأس الأمر فهو أعلاه وهو الإسلام والمخلوق بلا رأس لا قيمة له، وأما عموده أي الإسلام فهو الصلاة، وقد شبه النبي ﷺ ضمنيًّا الإسلام بالبيت كما في حديث "بُني الإسلام على خمس"، والصلاة هي العمود والأساس الذي يقيمه فإن هو أُزيل وقع بنيان هذا البيت، وقد ذكر النبي ﷺ الصلاة في هذا الحديث ثلاث مرات، وإن دل ذلك على شيء، فعلى عظيم أمرها ومكانتها من الإسلام.

وكان عمر بن الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكتب إلى عماله في الأمصار: (إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة). ا.هـ

"**وذروة سنامه الجهاد**"؛ والسنام ذروة البعير وأعلاه وكذلك الجهاد يعلو به الدين والأمة، والسنام يصغر ويكبر، فإن كان هزيلًا دل ذلك على ضعف هذا البعير ووهنه، وإن كان سمينًا دل ذلك على قوته وعافيته.

فالجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض، حتى أن بعضهم قد أسماه (سقف الإسلام).

وقد جاء في الصحيحين عن أبي ذر، قال: قلتُ: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله وجهاد في سبيله."

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: "لاَ أَجِدُهُ"، قَالَ: "هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ

مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟"، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ) [رواه البخاري].

فالنبي ﷺ وهو الذي يوحى إليه لا يجد من الأعمال الصالحة ما يعدل (أي: يساوي) الجهاد، فضلًا عن أن يجد منها ما يفضل الجهاد!

"ثم قال: ألاَ أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟ قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، وقال: كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبيَّ الله! وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: ثكِلتك أمُّك! وهل يَكُبُّ الناسَ في النَّار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟"؛ وقد سبق وشرحنا هذا المعنى في حديث "من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"، وحصائد ألسنتهم أي جزاء ما قالوه وما تلفظوا به من كلام مُحرّم، **قال الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل، ويدخل فيها القول على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، ويدخل فيه شهادة الزور، التي عدلت الإشراك بالله عز وجل، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة، وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قول يقترن بها يكون معينًا عليها.)ا.هـ

ولقد وردت آثار كثيرة عن سلف الأمة في حفظ اللسان، منها:

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: (والله الذي لا إله غيره، ما شيء أحق بطول سجن من لسان).

وعن علي بن بكار رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: (جعل الله لكل شيء بابين، وجعل للسان أربعة: الشفتين مصراعين، والأسنان مصراعين).

عن كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** (العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في السكوت).

وعن الاوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** (ما بلي أحد في دينه بلاء أضر عليه من طلاقة لسانه).

❑ الفوائد:

- مدى حرص الصحابة على طلب العلم ومعرفة ما يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار.
- الإيمان بأن الجنة حق وأن النار حق.
- أن أهم التكاليف والتي من أجلها خُلق الإنس والجن عبادة الله وحده لا شريك له.
- أننا نعبد الله طمعًا في جنته ونعيمه واتقاءً لناره وجحيمه.
- أهمية أركان الإسلام الخمسة.
- أهمية النوافل وأنها مكمِّلة للفرائض ومرقعة لها.
- أهمية الصدقة والصوم وقيام الليل.
- ذروة سنام هذا الدين الجهاد في سبيل الله وأنه لن يقوم لهذه الأمة قائمة إلا بالجهاد وإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

الحديث الثلاثون:

عن أبي ثعلبة الخُشَنيِّ جُرْثومِ بنِ ناشرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عـن رسـول الله ﷺ قـال: "إنَّ الله تعالى فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدوداً فـلا تعتـدوها، وحـرَّم أشـياء فـلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها" [حديث حسن، رواه الدارقطني وغيرُه].

❑ راوي الحديث:

أَبُو ثَعْلَبَة الخُشَنِيّ جُرثُوم بن ناشر وَيُقَال بن لاشر وَيُقَال غير ذَلِك فقد اختُلف في اسمه، قدم على النَّبِي ﷺ وَهُوَ يتجهز إِلَى حنين فَأسلم وَضرب لَهُ بسهمه وَبَايع بيعَة الرضْوَان.

قال محمد بن سعد: كان ممن نزل الشام وسكنها، وقيل: إنه سكن داريا، وقيل: سكن البلاط.

روى عن: رسول الله ﷺ، وعن معاذ بن جبل، وأبي عبيدة بن الجرَّاح.

مات سنة خمس وسبعين، قيل بالشام، وقيل: في أول إمرة معاوية رضي الله عنهما.

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم جامع لكل أحكام الشريعة من فرائض وحدود ونواه ومُباحات ومسكوت عنه كما أقره أهل العلم.

وقد قال عنه بعضهم: (ليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من هذا الحديث.)

وقال ابن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (مَن عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب، وأمن العقاب؛ لأنَّ مَن أدَّى الفرائضَ، واجتنب المحارمَ، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسامَ الفضل، وأوفى حقوق الدِّين؛ لأنَّ الشرائعَ لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث). ا.هـ

❑ شرح الحديث:

"**إن الله تعالى فرض فروضًا**"؛ أي إن الله تعالى أوجب أمورًا على عباده يُعاقب على تركها وهي أركان الإسلام الخمسة وما تعلق بها وارتبط، فالطهارة ليست ركنًا من أركان الإسلام ولكنها واجبة في الإتيان بركن الصلاة ولا تصح الصلاة إلا بها، كذلك الجهاد في سبيل الله وبر الوالدين وصلة الأرحام.

"**فلا تضيعوها**"؛ بعدم آدائها أو إهمالها وتضييعها، فكيف نضيع الفرائض؟ الصلاة مثلًا لا شك في أن تاركها يكفر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة وهذا أرجح الأقوال، ولكن قد يصلي المرء صلاةً لا تُقبل منه، لماذا؟ لأنه مضيّع لأوقاتها مهمل لشروطها مقصّر في حقها.

كذلك الزكاة مثلًا؛ قد يزكي المرء -زعم- ولكن ليس وفق النصاب الذي حدده الشارع، بل يخرج من ماله نسبة معينة هو من حددها لشح في نفسه، تُرضيه ولا تُرضي ربه!

كذلك الصوم؛ فجميعنا نصوم عن الطعام والشراب، ولكن كم من إنسان يصوم ويأتي بمبطلات الصيام أو ما يجرحه؟! من منا تصوم جوارحه؟ فكم من مضيع لصيامه بما حرم الله، بغيبة ونميمة وعين لا تتورع عن النظر إلى محرّم!

والحج أيضًا؛ قد يحج العبد ثم لا يقف بعرفة لعذر ما فهذا لا حج له لقول النبي ﷺ : "الحج عرفة"، أو قد يحج من مال حرام، أو قد يرفث في الحج والله المستعان.

إذا حججت بمال أصله دنس *** فما حججت ولكن حجّت العير

لا يقبل الله إلا كل طيبة *** ما كلّ من حج بيت الله مبرور

أما الجهاد في سبيل الله فكم من مضيع له، بل تارك له على الإطلاق، فقد وجب على هذه الأمة وجوبًا عينيًّا مُذ سقطت الأندلس بيد الفرنجة ولكن شاء الطواغيت حكام المسلمين أن تُعطّل هذه الفريضة العظيمة لأن أسيادهم من أرباب الغرب الكافر أرادوا ذلك، ليحكموا قبضتهم على أمة محمد فكان لهم ما أرادوا فدَبَّج علماء السوء لحى الشيطان فتاوى رضيت عنها أمريكا وأقرتها، أحسنها حالا تقول بأنّ الجهاد اليوم فرض كفاية ولا جهاد إلا بإذن ولي الأمر "المرتد الكافر"، ولا جهاد إلا براية!

روي –كما عند ابن عساكر– عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (لا يزال الجهاد حلوا خضرا ما امطرت السماء وأنبتت الأرض وسينشو نشو من قبل المشرق يقولون: لا جهاد ولا رباط أولئك هم وقود النار بل رباط يوم في سبيل الله خير من عتق ألف رقبة ومن صدقة أهل الأرض جميعا).

"**وحدّ حدودًا فلا تعتدوها**"؛ الحد لغةً المنع، يُقال حدّني عن كذا وكذا إذا منعني عنه. **وحد السَّارِق وَغَيره**: الفِعل الَّذِي يمنعهُ من المعاودة ويحدّه عَنهُ وَيمْنَع غَيره أَيْضًا.

أما شرعًا فهو ما شرعه الله عقوبةً على المعاصي وردعًا لمرتكبها حتى ينتهي ولا يعود إليها مثل قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن وجلد غير المحصن، وحد القذف وشرب الخمر وما إلى ذلك.

قال النبي ﷺ : "مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِّ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا " [رواه البخاري].

قال "**فلا تعتدوها**"؛ وإذا تأملنا النص القرآني لوجدنا عند ذكر الحدود لفظين مختلفين؛ "فلا تعتدوها" و"فلا تقربوها"، والفرق بينهما باختصار أن كل ما يتعلق بالشهوة والغرائز قيل في حدوده "فلا تقربوها" أي يجب الابتعاد عنه بالكلية وعدم الاقتراب من حماه لأن أولى خطواته مهلكة ولا ريب.

"**وحرم أشياء فلا تنتهكوها**"؛ والأشياء هنا تفيد الأقوال والأفعال، فكل ما حرمه الله تعالى لا ننتهكه أي لا نفعله ولا نأتيه، والله تعالى وحده هو المشرع فلا يُحلّ الحلال ولا يُحرّم الحرام إلا هو سبحانه.

وفي أيامنا هذه أُنيط التشريع المطلق على البرلمانيين وغيرهم، فهم مشركون منازعون لله تعالى في خاصية من خصائصه سبحانه وتعالى.

"**وسكت عن أشياءَ رحمةً بكم غير نسيان**"؛ وهي أمور لا تدخل ضمن الفرائض ولا الحدود ولا المحرمات، بل هي من الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني يأمر بها، أو يحدها أو يحرمها، فهي أمور سكت الشارع عنها والأصل فيها الإباحة، وهذه الأشياء لا يجب على المسلم إكثار السؤال حولها فيصل إلى التنطع والتكلف، والله تعالى يقول: {**لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ**}.

وقد سبق وبينا ذلك في حديث "ما نهيتكم عنه..." حيث قال النبي ﷺ :"فإنما أهلك من كان قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم"، وقال أيضًا: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرّم فحُرّم من أجل مسألته."

قوله "**رحمة لكم غير نسيان**"؛ **قال الإمام ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (يعني أنه إنما سكت عن ذكرها رحمةً بعباده ورفقًا؛ حيث لم يحرمها عليهم حتى يُعاقبهم على فعلها، ولم يُوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها، بل جعلها عفوًا، فإن فعلوها فلا حرج عليهم، وإن تركوها فكذلك، وفي حديث أبي الدرداء: "ثم تلا: {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**} " ومثله قوله عز وجل: {**لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**}.) ا.هـ

أما قوله تعالى : {**نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم**} فالمقصود بالنسيان هنا الترك، أي تركوا الله تعالى فتركهم.

❑ الفوائد:

- الشريعة الإسلامية أحكام تنقسم إلى فرائض وحدود ونواهٍ ومباحات.
- المشرع الوحيد لهذه الأحكام هو الله عزّ وجلّ ومن شاركه في التحريم أو التشريع فقد كفر كفر تشريع.
- آداء الفرائض واجب وإضاعتها وإهمالها يورد صاحبه المهالك.
- وجوب الابتعاد عن كل ما حرمه الله.
- هناك أشياء مسكوت عنها إذ لم يرد في تحليلها أو تحريمها نص والأصل فيها الإباحة.
- التحذير من كثرة السؤال والخوض فيما سكت الشارع عنه من أمور.

الحديث الواحد والثلاثون:

عن أبي العباس سَهل بن سَعْد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ ، فقال: يا رسول الله! دُلَّني على عمل إذا عملتهُ أحبَّني الله وأحبَّني الناسُ، فقال: "ازهد في الدنيا يُحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبّك الناس" [حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة].

❑ راوي الحديث:

سَهل بْن سَعد السّاعِديّ، أَبو العَبّاس الأَنصاريّ المَدَنِيّ، يُروى أنه أدرك النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة وصاحبه وسمع منه.

وقيل أنه مات سنة ثمانٍ وثمانين وقيل إحدى وتسعين وهو إبن مائة سنة أو أكثر. [انظر: التاريخ الكبير ٤/ ٩٧].

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم وهو من جوامع كلمه ﷺ وقد اشتمل على وصيتين جامعتين عظيمتين وهما الزهد في الدنيا والزهد فيما عند الناس.

❑ شرح الحديث:

"يا رسول الله! دُلّني على عمل إذا عملتُه أحبني الله وأحبّني الناس"؛ أحد الصحابة الكرام الذي لم يُذكر اسمه ولا تهمنا معرفته، جاء يسأل النبي ﷺ عن أمر عظيم؛ ما السبيل إلى محبة الله تعالى له ثم محبة الناس؟

"ازهد في الدنيا يحبّكَ الله، وازهد فيما عند الناس يُحبّكَ الناس"؛ قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين: إحداهما؛ الزهد في في الدنيا، وأنه مُقتضٍ لمحبّة الله عز وجل لعبده.

والثانية؛ الزهد فيما في أيدي الناس، وأنه مقتضٍ لمحبّة الناس.) ا.هـ

فيتّضح من هنا أن الزهد سبيل المحبة، تزهد في الدنيا فيحبّكَ الله تعالى، وتزهد فيما عند الناس فيحبّكَ الناس.

والزُّهْد: خلاف الرَّغْبَة؛ زَهَدْتُ فِي الشَّيْء أزهَدُ فِيهِ زُهدًا وزَهادة. والزّاهد فِي الدُّنْيَا: التارك لَهَا وَلما فِيهَا، وَالْجمع زُهّاد.

والزهد في الدين خاصة ضد الحرصِ على الدنيا. قال تعالى: {**وكانُوا فيهِ منَ الزَّاهِدِينَ**}؛ قال ثعلب: اشتروهُ على زهدٍ فيه.

قال أبو وَاقد اللَّيْثِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تابعنا الْأَعْمَال فَلم نجد شَيْئا أبلغ فِي طلب الْآخِرَة من الزّهْد فِي الدُّنْيَا.)

والزهد أعلى مرتبةً من الورع إذ أن الورع ترك ما قد يضر من أمور الدنيا، والزهد: ترك مالا ينفع في الآخرة، وترك ما لا ينفع أعلى من ترك ما قد يضر.

وهذه الدنيا خلقها الله وزينها بما تلذ به الأنفس وتطيب، لأن هذه الأنفس البشرية قد جُبلت على حب الدنيا وما يُزينها من ملذّات، يقول الله تعالى: {**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**}، ولكن في الأخير كل هذه الخيرات والزينة والملذات هي ماذا؟ {**ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**}، والمتاع هو الشيء الفاني الوقتي الذي لا يدوم، والحياة دُنيا من الدنوِّ وفي هذا إشارة إلى حقيقة

منزلتها الدنيئة المتدنيّة، وهذا يُذكرنا بحديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ "إنـما الأعـمال بالنيـات"، فمن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه وهكذا حـطَّ النبي ﷺ من الدُّنيا.

ثم يقول الله عز وجل في الآية الخامسة عشرة من آل عمران: {**قُلْ أَؤُنَبِّـئُكُم بِخَـيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ** } أي من هذه الزينة والشهوات التي ذُكرت في الآية السابقة، {**لِلَّـذِينَ اتَّقَـوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْـوَانٌ مِّـنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**}.

والزهاد هم الذين تأتيهم الدنيا راغمة فيعرضون عنها طمعًا فـيما عنـد الله تعـالى والذي هو {**خيرٌ وأبقى**}.

قيل لسفيان الثوري رَحِمَهُٱللَّهُ : (أنت زاهد، قال: لا، الزاهد عمر بـن عبـد العزيـز الذي في يده الدنيا، أما الذي ليس في يده الدنيا كيف يزهد؟).

ولكن قد يقول قائل: لعلكم بهذا تحجرون واسعًا فالله قـد خلـق لنـا هـذه الـدنيا وزينها لعباده وقال: {**لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَـدُوا**}، فهـل يتعـارض هذا مع الزهد الذي أوصى به النبي ﷺ لنيل محبة الله ومحبة عباده؟

نقول لا؛ فالزهد الذي قصده مربي هذه الأمة ومعلمها إنما هـو الزهـد المحمـود، فتتمتع بالطيبات قدر حاجتك وبنية صالحة مسددة، فلما شرع الله نكاح النساء بالحلال الطيب، على الرجل أن لا يفرط في ذلك ولا أن تكون نيته مجرد الاستمتاع، بـل يكـون في نيته الإعفاف للطرفين وتكثير سواد هذه الأمة فنبينا مباهٍ بها الأمم، أمـا أن يزهـد في النساء مطلقًا بحجة التفرغ للعبادة والسعي للآخرة فهذا مخالف لهدي النبي ﷺ الذي جاء به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَنَظِيرُ هَذَا الْأَصْلِ الْفَاسِدِ مَدْحُ بَعْضِ الْجُهَّالِ بِأَنْ يَقُولَ: فُلَانٌ مَا نَكَحَ وَلَا ذَبَحَ.

وَهَذَا مَدْحُ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ وَلَا يَذْبَحُونَ، وَأَمَّا الْحُنَفَاءُ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ {لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي}). ا.هـ [مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٢٣].

كذلك صاحب المال الكثير والرزق الوفير، قد تجد أحدهم من أغنياء القوم ولكنك لا تكاد ترى أثر نعمة الله عليه، متقشف حد الشُّح وإذا سألته قال :"هذا من الزهد"! وللإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام طيب في هذه المسألة، إذ يقول في صيد الخاطر: (ولقد دخل المتزهدون في طرق لم يسلكها الرسول ﷺ ولا أصحابه، من إظهار التخشع الزائد في الحد، والتنوق في تخشين الملبس، وأشياء صار العوام يستحسنونها، وصارت لأقوام كالمعاش، يجتنون من أرباحها تقبيل اليد، وتوفير التوقير، وحراسة الناموس، وأكثرهم في خلوته على غير حالته في جلوته.) ا.هـ

فهذا زهد مذموم وليس هو المطلوب لنيل محبة الله تعالى.

"**وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**"؛ أي ارغب عمّا في أيدي الناس ولا تطمع فيه، عن معاوية بن عمار بن أبي جعفر قال: (اليأس عما في أيدي الناس عزٌّ.)

وقال الإمام أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء...)، فمهما أحبك صديق لك حميم وأكرمك، إلا أن كثرة السؤال منك تجعله يستثقلك ويتجنبك، وما أصدق قول الشاعر:

اليأس أدبني ورفَّع همتي * واليأس خير مؤدب للناس**

إني رأيتُ موضع الطمع الذي * يضع الشريف مواضع الأخساس**

واليأس هو الرغبة عما عند الناس، فبترك الطمع إلى الناس وعدم السؤال ترفع من شأنك ولا تهوي بنفسك إلى حضيض المذلة فينفر منك القريب والبعيد وبهذا التعفف يحبك الناس.

❑ الفوائد:

- حرص الصحابة على السؤال عما ينجيهم في الآخرة.
- إثبات صفة المحبة لله تعالى كما ثبت ذلك في القرآن والسنة. قال تعالى: **{فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}** و **{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا}** ... إلخ.
- الزهد في الدنيا يجلب محبة الله عز وجل.
- الزهد فيما عند الناس يجلب محبتهم.

الحديث الثاني والثلاثون:

عن أبي سعيد سَعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضِرار" [حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضُها بعضًا].

❑ راوي الحديث:

هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد أبو سعيد الخدري الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته، وهو من أعلام الصحابة وفضلائهم، وكان من الحفّاظ لحديث رسول الله المكثرين، أول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله اثنتي عشرة غزوة، وروى عنه جمع من الصحابة.

وعُرف أبو سعيد بالاستقامة، والحرص على الحق، وهو الذي روى حديث النهي عن المنكر، وطبَّقه عمليًّا حيث جذب مروان بن الحكم من ثوبه عند تغييره السنة، بتقديم خطبة العيد على الصلاة.

وكان ممن حفظ عن رَسُول اللهِ ﷺ سننا كثيرة، وروى عنه علما جما.

توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين، وله ست وثمانون سنة. [انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٦٠٢].

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم من جوامع كلم النبي ﷺ ويُعتبر قاعدة من قواعد الشريعة وهي رفع الضرر والضرار.

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْفِقْه يَدُور على خَمْسَة أَحَادِيث:

"الْحَلَال بَين وَالْحَرَام بَين"، و" الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ "، و" مَا نَهَيْتُكُمْ عَنهُ فَاجْتَنبُوهُ، وَمَا أَمرتكُم بِهِ فَأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم "، و" لَا ضَرَر وَلَا ضرار "، و"الدّين النَّصِيحَة".) ا.هـ [التحبير شرح التحرير ٨/ ٣٨٣٩].

❑ شرح الحديث:

"لا ضرر ولا ضرار"؛ الضرر ضد النفع، ولا ضرر أي لا يضر الرجل أخاه، والضرر يكون بغير قصد كأن يكون لأحدهم بستان يسقيه كل يوم فيتسرب الماء دون أن ينتبه لبيت جاره فيؤذيه، فهذا يُسمى ضررٌ غاب فيه القصد وحضرت المضرة، وقوله **"لا ضرر"** نفيٌ يُراد به النهي والتحريم.

أما الضرار فهو أَن يتضار الرّجلَانِ عِنْد الِاخْتِلَاف يُقَال ضار فلَان فلَانا مضارة وضرارا، والضرار يحصل بقصد، أي يكون مُتَعَمَّدًا والغاية منه إلحاق الأذية والضرر.

وهذا يكون غالبا في المعاملات كالبيع والشراء والأنكحة أي بين الزوج وزوجته، وفي المواريث.

فمثلًا قد يوصي الرجل بوصية قبل وفاته تخالف ما نصت عليه الشريعة والهدي المحمدي في تقسيم الميراث فقط لأنه يريد أن يُضارَّ الورثة فيوصي بماله أو بجزء منه لشخص ليس منهم. قال الله تعالى: {**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ**}.

كذلك قد يُضار الرجل أم أطفاله بعد الطلاق بتهديدها بحرمانها من أطفالها إذا ما تزوجت رجلًا آخر وقصده من وراء ذلك ليس مصلحة الأبناء وإنما منع الأم من الزواج وإذلالها.

وهذا الحديث يُحرم الضرر والضرار وإن كان الضرر لا يُعاقَب عليه لأنه من دون قصد، فالضرار تحصل عليه العقوبة إذ هو مُتعمَّد.

وقد قيل في التفريق بين الضرر والضرار؛ أن الضرر ما يعود على النفس، والضرار ما يعود على الغير.

فالتدخين مثلا محرم لعدة مناطات؛ منها أن المدخن مضر لنفسه ولمن حوله، ففيه ضرر وضرار.

وقد اتفق الفقهاء على قاعدة: (الضرر يزال)، وعدوها ضمن خمس قواعد ترجع لها جميع مسائل الفقه. [انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ص٧].

الفوائد:

- تحريم الضرر والضرار.
- المسلم لا يضر غيره ولا يُضاره، وإن ثبت منه الضرر فيسعى فورًا لرفعه.
- الشريعة أتت بتحصيل المصالح وتكميلها، ودفع المفاسد وتقليلها.

الحديث الثالث والثلاثون:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال: "لو يُعطَى الناسُ بدعواهم، لادَّعى رجالٌ أموالَ قوم ودماءهم، لكن البيِّنة على المدَّعي، واليمين على مَن أنكر"

[حديث حسن، رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين.]

❑ التعليق على الحديث:

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُٱللَّهُ معلقًا على هذا الحديث: (وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام، ويقتضي أن لا يُحكم لأحد بدعواه.) ا.هـ

❑ شرح الحديث:

"لو يُعطى الناسُ بدعواهم"؛ الدعوى الادعاء والتقاضي، أي لو يعطي القاضي أو من له الأمر في البت بين المتنازعين الحقوق حسب ما يدعيه المُدّعي على المُدَّعَى عليه؛ **"لادّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودماءَهم"** ؛ أي لكذب كل من لا يخشى الله وأعماه الطمع والجشع فيقول هذا أكل مالي أو هذا قتل أبي...إلخ.

ولفظ الرجال هنا لا يعني أن النساء مُستثنيات، لأنه من النساء أيضًا من تدعي زورًا وبهتانًا ما ليس لها ولكن ذُكر الرجال هنا لأن أغلب النزاعات تكون بين الرجال.

"لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر"؛ والبينة كل ما يبين الحق ويظهره من قرائن وشهود وغير ذلك.

والمُدّعي هو صاحب الحق، يأتي القاضي ويدعي حقًّا عند أحدهم وهو المُدَّعَى عليه، فيطالبه حينها القاضي –أي يطالب المُدّعي– بالبينة على ما يدّعيه، فإن توفرت

وإلا فيطالب القاضي حينها المُدّعى عليه باليمين فإن حلف تبرأ ساحته وإن رفض ونكل تثبت عليه دعوى المُدعي وعندئذ يُحاكمه القاضي ويقضي عليه بالنُّكول وهو الامتناع عن اليمين.

ولكن ماذا إذا كان المُدَّعى عليه فاجرًا جريئًا على الله ولا يتورع عن الحلف كذبًا؟

جاء في الصحيحين عن الأشعث بن قيس، قال: (كان بيني وبين رجل خصومةٌ في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "شاهداك أو يمينه"، قلتُ: إذا يحلف ولا يبالي، فقال رسول الله ﷺ: "من حلف على يمين يستحق بها مالًا هو فيها فاجرٌ، لقي الله وهو عليه غضبان"، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم اقترأ هذه الآية: **{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.

ومن أروع ما صنف في هذا الباب كتاب (الطرق الحكمية) للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❑ الفوائد:

- بالشريعة تُحفظ أموال الناس ودماءهم.
- ضوابط الهدي المحمّدي في الفصل والقضاء بين المتنازعين.

الحديث الرابع والثلاثون:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَن رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان" [رواه مسلم.]

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم يبين وجوب إنكار المنكر ومراتب ذلك، وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن إنكار المنكر:** (باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث، عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعذاب {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فينبغي لطالب الآخرة الساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم.)

❑ شرح الحديث:

"من رأى منكم مُنكرًا فليغيره بيده"؛ أولاً نلاحظ أنه ﷺ قد جعل تغيير المنكر درجات أولاها باليد ثم اللسان ثم القلب، لا كما يصنع بعض المعاصرين اليوم فكأنه يقول: من رأى منكم منكرا فليغيره بقلبه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبيده!

فيكتفي بتغييره قلبيا –زعم– لأنه لا أحد يعجز عن ذلك!

والمنكر هو كل ما نهى عنه اللهُ عز وجل أو رسوله ﷺ، وما قبحه الشرع وحرمه.

وإنكار المنكر منه ما هو فرض كفاية، يكفي أن يقوم به نفر من المسلمين يكلفها الإمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك سقط هذا الواجب عن بقية المسلمين.

قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره:** (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن.) ا.هـ

ومنه ما هو فرض عين متعين على كل مسلم إذا لم يكن يعلمه إلا هو أو لا يستطيع إزالته إلا هو، قال العلماء: (ولا يُشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به. مجتنبًا ما ينهى عنه بل عليه الأمر. وإن كان مرتكبًا خلاف ذلك لأنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، وأن يأمر غيره وينهاها، فإذا أخذ بأحدهما لا يسقط عنه الآخر.)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوضح صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾.

أما ضيق الصدر من هذه الشعيرة العظيمة، والسعي في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف فهذه من أوضح صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾.

"من رأى" والرؤية هنا بمعنى العلم أي قد يكون ذلك بأم العين وقد يكون بخبر يقين يبلغ أحد المسلمين، **"فليغيره بيده"** أي فليزل هذا المنكر بيده كأن يدخل مثلًا مجلس رجال فيها معازف وآلات موسيقية فيكسرها، فهذا يكون قد أزال منكرًا بيده.

عن إبراهيم قال: (كان أصحاب عبد الله يستقبلون الجواري معهن الدفوف في الطرق فيخرقونها) [رواه ابن جرير].

وعن أبي حصين: أن رجلاً كسر طنبورًا لرجل، فخاصمه إلى شُريح فلم يضمنه شيئًا. [رواه البخاري معلقا].

"**فإن لم يستطع**" أي إن تعذر عليه ذلك كأن لا يكون أهلًا لذلك "**فليغيره بلسانه**" أي بالنّهر والزجر والتوبيخ.

"**فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"؛ أي إن تعذر عليه أيضًا التغيير باللسان انتقل إلى التغيير بالقلب وذلك يكون بكراهة هذا المنكر بالقلب وبغضه والإقرار قلبيا أنه متى ما استطاع تغييره باليد أو باللسان ليفعلنّ وهذا أضعف الإيمان.

والإنكار بالقلب يستلزم تمعر الوجه وتغيره، والخروج من مجلس المنكر، وهذا ما دلت عليه الآيات.

أما ما زعمه بعضهم من أن الإنكار باليد حكرا على السلطان، والإنكار باللسان حكرا على العلماء، والإنكار بالقلب لعامة المسلمين، فلا يُسلم لهم بذلك، والنصوص قد جاءت بخلاف ذلك.

❑ الفوائد:

- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال تعالى: {**الَّذين إِن مكناهم فِي الأَرْض أَقَامُوا الصَّلَاة وَآتوا الزَّكَاة وَأمرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونهوا عَنِ الْمُنكَرِ**}.
- تغيير المنكر درجات أولاها اليد ثم اللسان ثم القلب.
- الإيمان مراتب.
- الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

الحديث الخامس والثلاثون:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ : "لا تحاسـدوا، ولا تناجشـوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضُكم على بيع بعض، وكونـوا عبـاد الله إخوانـاً، المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقـوى ههنـا، ويشـير إلى صدره ثلاث مرَّات، بحسب امرئ من الشرِّ أن يَحقرَ أخاه المسلم، كـلُّ المسـلم عـلى المسلم حرام: دمه وماله وعرضه" [رواه مسلم].

❑ شرح الحديث:

"لا تحاسدوا"؛ أي يا معشر المسلمين لا يحسد بعضكم بعضًا، والحسد هـو تمنـي زوال النعمة عن الغـير، واختـار شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة ؒ معنـى أوسـع فقـال: (الحسد: كراهة ما أنعم الله به على الغير وإن لم يتمن الزوال.)، أي أنك وبمجرد كراهة أن ترى نعمة حلت بغيرك تدخل في زمرة الحاسدين والعياذ بالله.

والحسد كما هو معلوم أولى الخطايا في حق الله تعـالى، فـما منـع إبلـيس أن يسـجد لآدم إلا الحسد. والحاسد معارض لإرادة الله سـبحانه، فهـو قـد قسـم الـرزق وجـاد بالنعم وهـذا الحاسـد يعـترض عـلى ذلـك والله تعـالى يقـول: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ}.

والحسد من صفات اليهود، قال تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}.

إلا أن ثم فرق بين الحسد والغبطة، فالحسد –كما تقـدم- تمنـي زوال النعمـة عـن الغير، أما الغبطة فتمني حصول النعمة التي حصلت لغيره له دون زوالها عن غيره.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا" [متفق عليه].

قَالَ ابن المُنِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المُرَادُ بِالحَسَدِ هُنَا الْغِبْطَةُ). ا.هـ [فتح الباري ١٣/ ١٢٠].

"**ولا تناجشوا**"؛ من نَجَشَ والناجش آكل ربا، قيل هُوَ مدح السّلْعَة وَالزِّيَادَة فِي ثمنهَا وَهُوَ لَا يُرِيد شراءها بل ليغر غَيره فَنهى عَن فعل ذَلِك وَالْبيع بِهِ وآكل ثمنه.

والناجش السائم في السلعة بدون رغبة في شرائها، وهذا يحدث غالبًا في المزادات العلنية؛ إذ يستعين صاحب السلعة بصديق له لا يرغب أصلًا في الشراء ولكنه يدخل المزاد ليضع سعرًا مرتفعًا مما يجعل غيره من المشترين يتجاوزونه وهذا عين النجش، ويقع في المعاملات والبيوع.

"**ولا تباغضوا**"؛ أي لا يبغض بعضكم بعضًا، "**ولا تدابروا**"؛ أي لا يولي أحدكم ظهره لأخيه المسلم إذا لاقاه بل يقبل عليه بوجهه وهذا مما يزيد المحبة والألفة بين المسلمين.

فإذا نهى النبي ﷺ عن التدابر فالنهي عن التخاصم والهجر من باب أولى، وقد جاء هذا النهي صريحا فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ".

"**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**"؛ أي يبيع أحدهم سلعة لشخص ما بعشرة آلاف، فيأتيه آخر ويقول له أنا أبيعك نفس هذه السلعة بسبعة آلاف فهذا يبيع على بيع

أخيه وهذا محرم شرعًا، وكذا العكس بأن يتقدم مسلم لشراء سلعة بخمسة آلاف، فيقول آخر: أنا أشتريها منك بثمانية آلاف.

"**وكونوا عباد الله إخوانا**"؛ فالأخوّة إذا كانت بين عباد الله منعتهم من كل ما سبق ونهى عنه النبي ﷺ فيما تقدم من الحديث؛ من الحسد والنجاشة والتدابر والتباغض ومن أن يبيع أحدهم على بيع أخيه، وإذا تأملنا جيدا مراتب النهي في هذا الحديث لوجدنا أن الحسد مردّ كل ما ورد بعده من نواهي فهو الداء الرئيس الذي متى ما سلم منه القلب سلم العبد في دينه ودنياه.

"**المسلم أخو المسلم**"؛ أي مثل أخيه ابن أمه وأبيه، بل إن الأخوّة في الله قد تكون أعظم من أخوة الدم إذا كان ميزانها الولاء والبراء والحب في الله والبغض فيه والنصح له، قال تعالى: {**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**}.

وقال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**}.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَذَا قِيلَ: أُخُوَّةُ الدِّينِ أَثْبَتُ مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وَأُخُوَّةَ الدِّينِ لَا تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ النَّسَبِ). ا.هـ

"**لا يظلمه**"؛ أي لا يتعدى على حقوقه في الدم أو العرض أو المال، "**ولا يخذله**" أي لا يترك نصرته في موضع أراد أن ينصره فيه، "**ولا يكذبه**" أي لا يحدثه بالكذب، "**ولا يحقره**" أي لا يستصغره ويقلل من شأنه ومرد الاحتقار الكبر ومعلوم أنه "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر." [رواه مسلم].

"**التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات**"؛ أي أن التقوى في القلب، التقوى في القلب، التقوى في القلب؛ تلك المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، فالقلب السلطان وبقية الأعضاء تبع له.

"**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**"؛ أي يكفي امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

"**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**"؛ أي أنه لا يجوز التعدي على دم مسلم أو ماله أو عرضه وقد سبق في هذه الأربعين أن بين النبي ﷺ الثلاث التي يحل بها دم المسلم... فهذا عام، وذاك خاص.

❑ **الفوائد:**

- هذا الحديث بمثابة ميزان أخلاق، به يضبط المسلم تعامله مع أخيه المسلم.
- تحريم الحسد والنجش أو التناجش والبيع على بيع أخيه المسلم وكذلك الشراء على شرائه.
- النهي عن كل ما يسبب البغضاء والشحناء بين المسلمين.
- وجوب الأخوة في الله.
- كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه.

الحديث السادس والثلاثون:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: "مَن نَفَّس عن مؤمن كُربةً مِن كُرَب الدنيا نَفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ مسلمًا ستره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَن سَلَكَ طريقًا يَلتمس فيه علمًا سَهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينةُ، وغَشيتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكَرَهم الله فيمَن عنده، ومَن بَطَّأَ به عملُه لَمْ يُسرع به نسبُه" [رواه مسلم بهذا اللفظ].

❑ شرح الحديث:

"من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"؛ والكربة من الكرب، والكرب الضيق والشدة، فمن رأى أخاه المسلم يمر بضيق وقد كربه أمر من أمور الدنيا فسعى في التنفيس عنه بمساعدته، يكون جزاء الله له في الآخرة بتنفيس كربة من كرب اليوم الآخر عنه. وهذا أعظم لأن كرب يوم القيامة أشد وأعظم على العبد من كرب الدنيا.

والمشي في حوائج الناس من أعظم خصال المروءة، وقد وُصف النبي ﷺ بها، فقد جاء في السير: أن النبي ﷺ لما نزل عليه جبريل في حراء أخبر بذلك خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال: قد خشيت بها على عقلي، فثبتته وقالت: (أبشر ـ كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر) [انظر: الفصول في السيرة ١/ ٩٦].

"ومن يسَّر على مُعسِرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة"؛ والمعسر هو من أصابه عسر، كأن يكون عليه دين من مال ولا يجد ما يسد به هذا الدين، فالأولى بصاحب

المال أن لا يطالبه به لا تصريحًا ولا تلميحًا والله تعالى يقول: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}، فمن سعى في تيسير عسره وتفريجه كان جزاؤه بالمثل في الدنيا والآخرة.

وقد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي".

"ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"؛ كأن ترى مسلمًا أو مسلمةً قد ابتُلي بمعصيةٍ ما، فتستره بكتمانها ولا تذهب تُحدّث بها الناس، والجزاء على ذلك يكون بسترك في الدنيا والآخرة.

ولقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الستر، كحديث أبي يعلى عن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ" [رواه أبو داود والنسائي].

ولكن بعض أهل العلم يقول بأن الستر على المسلم يكون ما لم يفضح نفسه هو، أي إذا لم يجاهر بالذنوب ويبارز ربه بالمعاصي جهارًا نهارًا ولا يبالي.

وقد روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُّ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهَّ عَنْهُ".

"والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"؛ فما دمتَ أيها المسلم في عون أخيك المسلم؛ تفرّج عنه كربة، وتيسر له معسرة وتنصره في موضع يجب أن يُنصر فيه؛ فتيقن حينها أن الله سبحانه سيكون في عونك أي أن جزاءك على ذلك معونة الله جل جلاله لك فأي كرم بعد هذا الكرم وأي نعمة بعد هذه النعمة وملك الملوك في عونك؟!

"ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل له الله به طريقًا إلى الجنة"؛ أي من دخل طريقًا يطلب فيه علمًا شرعيًّا ومشى فيه، وهو طريق الهدى والرشاد، فيكون الجزاء أن يهديه الله تعالى سواء السبيل الموصل إلى الجنة. قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}، كلا وربي لا يستوون.

وعن كثير بن قيس قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! أَتَيْتُكَ مِنْ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُّ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ".
[رواه أحمد وغيره].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ الله ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ". [رواه الترمذي].

ففضل العلم والعلماء يطول الحديث فيهما والأحاديث والآثار الحاثة على طلب العلم الشرعي النافع أكثر من أن تُحصى، ويكفي أنَّ "مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" [متفق عليه].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَازِمُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ اللهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا؛ فَيَكُونُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ فَرْضًا). ا.هـ [مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢١٢].

"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"؛ وبيوت الله هي المساجد مصداقًا لقوله عز وجل: {**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**}، ويتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم أي يقرؤونه لفظًا ويتدبرونه معنى، فتنزل عليهم السكينة أي الطمأنينة، وتغشاهم الرحمة أي تغطّيهم، وتحيط بهم الملائكة ويذكرهم الله تعالى فيمن عنده وهم الملائكة.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ". [رواه ابن حبان].

ولا زال أهل العلم يقيمون حلق العلم في المساجد منذ عهد النبوة إلى عهدنا، وها هي المساجد اليوم في ظل الدولة الإسلامية باتت عامرة بدروس أهل السنة، وقد أُقْصِي منها أهل البدع.

"**ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**"؛ قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معناه أنَّ العملَ هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال تعالى: {**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا**} ، فمَن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات؛ فإنَّ الله رتَّب الجزاءَ على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: {**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**} "، إلى أن قال: "وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لعمرك ما الإنسان إلاَّ بدينه * فلا تترك التقوى اتّكالاً على النسب**

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ * وقد وضع الشرك النسيبَ أبا لهب)**

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**} [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ" [متفق عليه].

❑ الفوائد:

- الحث على تنفيس كرب المؤمن وتيسير ما تعسر عليه وستره والجزاء يكون من جنس العمل في الدنيا والآخرة وفي الآخرة أفضل وأعظم.
- الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.
- فضل طلب العلم الشرعي وأنه طريق هداية ورشاد آخره الجنة.

- شرف النسب دون عمل صالح لا يغني عن العبد مـن الله شـيئا والجنـة تُنـال برحمة الله ثم عمل العبد لا نسبه.

الحديث السابع والثلاثون:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه تبارك وتعالى قال: "إنَّ الله كتب الحسنات والسيِّئات، ثم بيَّن ذلك، فمَن هَمَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيِّئة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيِّئة واحدة" [رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف.]

❑ شرح الحديث:

"**إن الله كتب الحسنات والسيئات**"؛ ورد في معنى الكتابة هنا قولان؛ فقيل أن المراد بـ"كتب" أن الله تعالى قد قدّر المقادير من حسنات وسيئات وحُفظت في اللوح المحفوظ، وقيل أن المراد بالكتابة تعليم الله تعالى الملائكة كيف يكتبون حسنات وسيئات العباد، وتتمة الحديث تُرجح هذا القول الثاني والله أعلم.

"**ثم بين ذلك**" أي فصّله وبيّن كيف يكون.

"**فمَن هَمَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً**"؛ همّ بفعل حسنة - فعلية كانت أو قولية - أي عزم على فعلها ولكنه لم يفعلها لعارض عرض له فمنعه من الفعل، كأن يقوم المرء فيتوضأ لصلاة ركعتين نافلة مثلًا ويأتيه ضيف فيشغله عنها، فيكتبها الله عز وجل له حسنة كاملة وكأنه أداها لأن نيته في ذلك كانت صادقة، وفي الحديث: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ...) [رواه أحمد].

"**وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة**"؛ قال تعالى : {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} ومن هنا يتّضح لنا أن مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم مصداقًا لوعد الله عزّ وجلّ، ولكن قد يضاعف سبحانه الحسنات لمن يشاء من عباده فيزيد عن العشر إلى السبعمائة، إلى أضعاف كثيرة وقد قال في محكم التنزيل: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ}.

ونشير إلى أن مضاعفة الحسنات قد ترتبط أحيانًا بالزمان والمكان؛ فبالزمان كقوله ﷺ عن عشر ذي الحجة: "مَا مِنْ أَيَّامِ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهِنَّ أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ قَالوا: ولاَ الجِهَادُ في سَبيلِ الله، قَالَ: وَلا الجِهَادُ في سَبيلِ الله" [رواه أبو داود والترمذي]، وقوله عن يوم الجمعة: "فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" [متفق عليه]

أما من حيث المكان فمن أمثلته قوله ﷺ : "صَلاَةٌ في مَسجِدي هَذا أَفضَلُ مِنْ أَلفِ صَلاَة فيمَا سِواهُ إِلاّ مَسجِدِ الكَعبَة." [متفق عليه].

"**وإن همَّ بسيِّئة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة**"؛ يكتب الله عز وجل السيئة التي يهم بها العبد ولا يفعلها حسنة كاملة إذا كان قد تركها خوفًا من الله واتقاء عقوبته، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (فإنه تركها من جرّائي) أي من أجلي، أما من ترك السيئة خوفًا من الناس ورياءً وسمعةً فيُعاقب عليها لأن نيته فاسدة، وتارك السيئة على ثلاثة أقسام:

- تارك لها لله تعالى فهذا تُكتب له حسنة كاملة.
- تارك لها عن نسيان فهذا لا يُحاسب عليها فلا يُثاب ولا يؤثم.

- تارك لها عجزًا وتكاسلًا أي أنه سعى لارتكابها بها أمكنه ثم حال بينه وبينها حائلٌ فهذا بمثابة من ارتكبها لقول النبي ﷺ : "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه". [متفق عليه].

"وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيِّئة واحدة"؛ قال تعالى: {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

الفوائد:

- إثبات كتابة الحسنات والسيئات.
- يُضاعف الله الحسنات لعباده رحمةً بهم وتفضّلًا.
- من عدل الله تعالى عدم مضاعفة السيئات.
- في الحديث ترغيب في فعل الحسنات وترهيب من فعل السيئات.

الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مِمَّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يَسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطشُ بها، ورِجلَه التي يَمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه" [رواه البخاري].

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم، من الأحاديث القدسية، لأن النبي ﷺ نسب القول فيه لله عز وجل، فقال: "إن الله تعالى قال...".

❑ شرح الحديث:

"**من عادى لي وليًّا**"؛ وأولياء الله هم كما قال تعالى: {**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (من كان لله تقيًّا كان لله وليًّا).

وقَالَ الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فتح البَارِي: (المُرَاد بولِي الله الْعَالم بِاللهِ تَعَالَى المواظب على طَاعَته المخلص فِي عِبَادَته).

والولاية أصلها المحبة والقرب من الله والتي هي ضد العداوة والبعد عنه عز وجل. وقوله "من عادى لي وليًّا" فيه من البلاغة شيءٌ عجيبٌ، إذ أن تقديم الجار والمجرور هنا يجعل القارئ أو السامع صاحب الحس البلاغي يخلص إلى أن هذا الذي

عُودي إنّما عُودي لكونه وليًّا لله تعالى لا لسبب آخر، في حين أننا لو قلنا: "مـن عـادى وليًّا لي" لربما كان سبب المعاداة أن هذا المُعادى، فيه ما يدعو لاستعدائه.

إذن فسبب المعاداة هنا ولاية الله تعالى ولا تكـون المعـاداة في أمـور دنيويـة بـل في إيمانه وتقواه وطاعته لله تعالى وسعيه لإعلاء دينه، كالذين يُحاربون أهل العلم الربّانيين في ديار الكفر فيضيقون عليهم ويزجون بهم في السجون فقـط لتكمـيم أفـواههم عـن كلمة الحق التي بها يصدعون في وجوه الطواغيت الحاكمين بغير مـا أنـزل الله المـوالين لأعدائه ولدينه ولرسوله، وكذلك محاربـة المجاهـدين في سـبيل الله والـذين نحسـبهم أيضًا من أولياء الله تعالى والله حسيبهم، فمن يحارب هؤلاء جزاؤه حرب من الله.

وقد جاء عند الطبراني بلفظ: "مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ".

"**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه**"؛ أحبّ القربـات إلى الله سبحانه وتعالى الفرائض التي أوجبها على عبيده من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر، ومعلـوم أنّ أجـر الفرض أكثر من أجر النفل.

والفرائض تتفاضل أيضا حسب ما جاء في فضـلها مـن نصـوص عـن الله وعـن رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَكْثَرُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّـةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْجِهَادِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُـولُ فِي عِيَـادَةِ الْمَـرِيضِ: "اللَّهُـمَّ اشْـفِ عَبْـدَك يَشْهَدْ لَك صَلَاةً؛ وَيَنْكَأْ لَك عَدُوًّا" وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ") [مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٦].

"**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّـه**"؛ أي يسـتمر عبـدي - ولفـظ عبدي هنا يفيد التشريف -، في التقرب إليّ طلبًا لمحبّتي وابتغاءً لمرضـاتي حتّـى أحبّـه، فإذا أصبح من أحباب الله تعالى يُجازى بـ؛

"**فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**"؛ مفاده أن الله تعالى متى ما أحب عبدًا تتنزه جميع حواسه وأعضائه عن كل ما لم يبحه الشارع ويأذن به؛ فلا يسمع أو يبصر حرامًا، ولا تمتد يده إلا إلى حلال ولا يمشي برجله إلا إلى مباح.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْمُرَادُ بِهَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ مَنِ اجْتَهَدَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِالْفَرَائِضِ، ثُمَّ بِالنَّوَافِلِ، قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَرَقَّاهُ مِنْ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، فَيَصِيرُ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى الْحُضُورِ وَالْمُرَاقَبَةِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَمَحَبَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَخَوْفِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَصِيرَ هَذَا الَّذِي فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مُشَاهِدًا لَهُ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ كَمَا قِيلَ:

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعْمُرُهُ * لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ**

غَابَ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي * فَسُوَيْدَا الْقَلْبُ يُبْصِرُهُ)**

"**ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**"؛ أي أنه وبعد أن يجتهد هذا العبد بالتقرّب إلى الله تعالى فيُحبّه سبحانه ويقرّبه ويُرقّيه وحينها يسأل فيُعطى له المطلوب، ويستعيذ فيُعاذ أي يزول عنه المرهوب.

❑ **الفوائد:**

- فضل أولياء الله تعالى والوعيد الذي ينتظر من يؤذيهم وأنه في حرب مع الله تعالى.
- ولاية الله تعالى تُنال بأداء الفرائض والإكثار من النوافل والاستمرار على ذلك.
- أحب ما يُتقرّب به إلى الله عز وجل أداء الفرائض والواجبات.

- من صار من أحباب الله تعالى سدده في سمعه وبصره ويده ومشيه.
- جزاء الله تعالى لأحبابه أن تُجاب دعوتهم ويعيذهم الله من شر كل ذي شر.

الحديث التاسع والثلاثون:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله تجاوز لي عن أمَّتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه" [حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما].

❑ شرح الحديث:

"إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"؛ تجاوز هنا بمعنى تعدى، وقوله ﷺ "إن الله تجاوز لي عن أمتي" أي أسقط عن أمتي، وهذه من المَكْرُمَات التي خص بها الله تعالى أمة محمّد ﷺ دون غيرها من الأمم، والدليل على أن السابقين كانوا محاسبين على هذي الثلاث قوله تعالى: {**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**}.

وكذا قوله تعالى: {**إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبداً**}.

وللعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نفيس في هذه المسألة، حيث قال: (أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة، لأن قوله عن أصحاب الكهف: ﴿**إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**﴾ ظاهر في إكراههم على ذلك وعدم طواعيتهم، ومع هذا قال عنهم: ﴿**وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً**﴾ فدلَّ ذلك على أنَّ ذلك الإكراه ليس بعذر، ويشهد لهذا المعنى حديث طارق بن شهاب في الذي دخل النار في ذباب قرَّبه مع الإكراه بالخوف من القتل، لأن صاحبه الذي امتنع أن يقرب ولو ذبابًا قتلوه.

ويشهد لهذا أيضًا دليل الخطاب - أي مفهوم المخالفة - في قوله ﷺ: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".

فإنه يفهم من قوله: "**تجاوز لي عن أمتي**" أن غير أمته من الأمم لم يتجاوز لهم عن ذلك، وهذا الحديث وإِنْ أعلَّه الإمام أحمد وابن أبي حاتم فقد تلقاه العلماء قديمًا وحديثًا بالقبول، وله شواهد ثابتة في القرآن العظيم والسنة الصحيحة). ا.هـ [أضواء البيان ٤/ ٧٣].

والخطأ هو مجانبة الصواب غير عامدٍ، والنسيان من نسيَ- ونسى الشيء أي مُنِع ذكره، أما الاستكراه فهو إجبار شخص ما على الإتيان بعمل يكرهه وقهره عليه.

وهذه الأعذار الثلاثة ذُكر التجاوز عنها في القرآن الكريم، فقال ربنا جل وعلا: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}، وقال أيضًا: {**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**} والله عز وجل هنا ينفي الإثم عن المخطئين إلا من تعمّد وتقصّد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ {**لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: {**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ**

أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " **{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا}** [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " **{وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}** [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ: نَعَمْ " [رواه مسلم].

أما رفع الوزر عمن استكره فدليله من القرآن قول العزيز: **{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** .

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا وَرَاءَكَ؟" قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ قَالَ: "كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟" قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ قَالَ: "إِنْ عَادُوا فَعُدْ" [رواه الحاكم].

وهذا يدل على أن من أُلجِأ وأُكره على كلمة الكفر أو على فعل مُحرّم فإن الله تعالى يتجاوز عنه.

غير أن للإكراه شروطا لابد من توفرها حتى يُقال بصحته، عدها الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لكتاب الإكراه من صحيح البخاري، فقال:

(**الأول**: أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

الثالث: أن يكون ما هدد به فورياً، فلو قال إن لم تفعل كذا ضربتك غداً لا يعد مكرها.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره). ا.هـ

❑ الفوائد:

- رحمة الله تعالى بأمة المصطفى خير أمة أخرجت للناس حيث تجاوز لها عن الخطأ والنسيان والإكراه.
- بيان أن الإكراه مانع معتبر من موانع التكفير.

الحديث الأربعون:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل".

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. [رواه البخاري].

❑ شرح الحديث:

"**أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي**"؛ والمنكب هو أعلى الكتف ومجالسة النبي ﷺ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بهذه الطريقة تدل على لطفه ومؤانسته للصحابة الكرام، كما أن هذه الطريقة التعليمية من خير معلم تساعد على تثبيت العلم عند السامع، وتذكرنا بحديث جبريل عليه السلام عندما أتى النبي ﷺ يسأله؛ "وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذيه".

"**كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل**"؛ قال الإمام ابن رجب ؒ: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، يهيّئ جهازه للرحيل.) ا.هـ

هكذا هي الدنيا؛ دار رحيل لا دار قرار، وهكذا يجب أن يكون المسلم فيها؛ غريبًا لا وطن له أو عابر سبيل أي مسافر وحال المسافر معلوم، زاده قليل ومتاعه يسير، وما الدنيا إلا مطيته للآخرة.

ولقد قال الله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}، فكأن العامل للآخرة يحتاج تذكيرا بنصيبه الدنيوي لكثرة انشغاله بالآخرة،

بينما الكثير من الناس لفرط انشغاله بالدنيا اليوم وركونه لها يحتاج أن يقال له: ولا تنس نصيبك من الآخرة!

ويُروى عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: (ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.)

"**إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء**"؛ أي إذا أمسيتَ فاعمل عمل مودع من ليلته تلك فلا صباح له، وكذلك إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وفي هذا حضٌّ على تقصير الأمل وأن يجعل العبد الموت نصب عينيه فيستعد لذلك بالتزود بالأعمال الصالحة والزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها وبملذاتها.

فَكَم مِن صَحيحٍ ماتَ مِن غَيرِ عَلَّةٍ * وَكَم مِن عَليلٍ عاشَ دَهراً إِلى دَهرِ**

وَكَم مِن فَتى يُمسي وَيُصبِحُ آمِناً * وَقَد نُسِجَت أَكفانُهُ وَهوَ لا يَدري**

"**وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**"؛ أي أكثر من العمل الصالح في أيام صحتك وعافيتك فقد يصيبك مرض يفوتك فيه العمل وقد تموت حينها فتقدم على الآخرة بلا زاد ولا زُوّاد.

روى الإمام النسائي رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ".

إذا هبت رياحك فاغتنمها * فإن لكل خافقة سكون**

ولا تغفل عن الإحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون**

❑ الفوائد:

- حال المؤمن في هذه الدنيا يجب أن يكون كحال الغريب أو المسافر الذي لا وطن له ولا أرض وما هذه الدنيا إلا مطيته لدار المستقرّ.
- المؤمن الفطن هو الذي يستكثر من العمل الصالح في أيام صحته وفراغه ويتقي شر الشيطان بتسويف العمل.
- حرص الصحابة على التعلم من النبي ﷺ والعمل بوصاياه.

الحديث الواحد والأربعون:

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يُؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعًا لِمَا جئتُ به" [حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح].

❑ راوي الحديث:

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَبْلَ أَبِيهِ، وَصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: (اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي كِتَابِ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ، فَأَذِنَ لِي، فَكَتَبْتُهُ).

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُسَمِّي صَحِيفَتَهُ تِلْكَ الصَّادِقَةَ.

وَعَنْ مُسْلِمٍ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ قَالَ: طَافَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو بِالْبَيْتِ بَعْدَمَا عَمِيَ، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو مَعَ أَبِيهِ مُعْتَزِلًا لِأَمْرِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُوهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ خَرَجَ مَعَهُ، فَشَهِدَ صِفِّينَ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: (مَا لِي وَلِصِفِّينَ، مَا لِي وَلِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ).

وَخَرَجَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ الْوَفَاةُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مِصْرَ، فَأَقَرَّهُ مُعَاوِيَةُ، ثُمَّ عَزَلَهُ، وَكَانَ يَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ، وَيَأْتِي الشَّامَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصْرَ، وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى بِهَا دَارًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ، فَدُفِنَ فِي دَارِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ، فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. [انظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٤٤].

❑ التعليق على الحديث:

حديث عظيم المعنى وإن اختلف في صحته، **قال الإمام ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن قول الإمام النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح)، قال: (يُرِيدُ بِصَاحِبِ كِتَابِ الْحُجَّةِ الشَّيْخَ أَبَا الْفَتْحِ نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيَّ الشَّافِعِيَّ الْفَقِيهَ الزَّاهِدَ نَزِيلَ دِمَشْقٍ، وَكِتَابُهُ هَذَا هُوَ كِتَابُ " الْحُجَّةُ عَلَى تَارِكِ الْمَحَجَّةِ " يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ أُصُولِ الدِّينِ عَلَى قَوَاعِدِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَدْ خَرَّجَ هَذَا الْحَدِيثَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ " الْأَرْبَعِينَ " وَشَرَطَ فِي أَوَّلِهَا أَنْ تَكُونَ مِنْ صِحَاحِ الْأَخْبَارِ وَجِيَادِ الْآثَارِ مِمَّا أَجْمَعَ النَّاقِلُونَ عَلَى عَدَالَةِ نَاقِلِيهِ، وَخَرَّجَتْهُ الْأَئِمَّةُ فِي مَسَانِيدِهِمْ). ا.هـ

❑ شرح الحديث:

"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تَبعًا لما جئتُ به"؛ أي لا يكون أحدكم مؤمنًا كامل الإيمان حتى يحب كل ما أتى به النبي ﷺ من أوامر ونواهي، أي نفي لكمال الإيمان لا لأصل الإيمان عن العبد الذي يُخالف هدي النبيّ وما جاء به، فقد نجد مُسلمًا يتّبع هواه أغلب من ما جاء به النبيّ ﷺ، وهذا يُنفى عنه كمال الإيمان، وقد نجد آخر لا يوافق هواه ما أتى به المصطفى في أيّ شيء، وهذا يُنفى عنه أصل الإيمان ويقع في الردّة، والله عز وجل يقول: {**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**}.

فكلّ عمل ابن آدم يجب أن يعرضه على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ، ثمّ يتّبع ذلك وإن خالف هواه، والله عزّ وجلّ يقول: {**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**}.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنَّه الميل إلى خلاف الحق، كما في قوله عزَّ وجلَّ: **{وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**) ا.هـ

وعليه فحكم الله ومن بعده الرّسول يجب أن يكون مقدّمًا على رغباتنا وأهوائنا، فشهادتك أن لا إله إلّا الله وأن محمّدًا رسول الله، تقتضي منك إيمانًا عمليًّا فيكون هواكَ تبعًا لما جاء به النّبيّ ﷺ.

قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}**.

- الفوائد:

- التّحذير من تقديم العقل والعادات والأعراف والأهواء على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ.
- وجوب تحكيم الشّريعة والحكم بما أنزله الله عزّ وجلّ.

الحديث الثّاني والأربعون:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم! لو أتيتني بقِراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقِرابها مغفرة." [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

❑ التعليق على الحديث:

هذا هو الحديث الختامي للأربعين النوويّة، والتي اختارها الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ لتكون عبارة عن توجيهات للمسلم فيما يخصّ أمور دينه ودنياه، وزاد يتزوّد به في حياته الدّنيوية، ونبراسٍ يهتدي به في الآخرة.

وهذا الحديث القدسي الخاتم هو من أرجى الأحاديث التي تزيد من ثقة العبد بربّه وأمله في سعة رحمته عزّ وجلّ.

"يا ابنَ آدم"؛ مُسلمًا كنتَ أو كافرًا، برًّا أو فاجرًا، طائعًا أو عاصيًا، فأيًّا كنتَ أنتَ عبد من عبيد الله المُخاطبين بهذا الحديث، **"إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي"**، وما هنا شرطيّة جوابها غفرتُ لك، والدّعاء هنا يشمل الدّعاء العبادة والذي هو الصّلاة، والدّعاء المسألة كأن يدعو العبد ربّه أن يغفر له.

ولكن على العبد أن ينتبه لأمر؛ وهو أنّه وكي يُستجاب له، عليه أن يقرن دعاءه بالرّجاء، وهذا من شروط الإجابة كما عدّه بعض أهل العلم، ومن آداب الدّعاء التي يجب أن يتحلّى بها الدّاعي فيلحّ على ربّه ولا يدعوه بقلبٍ غافلٍ لاهٍ.

"يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك"؛ أي يا ابن آدم إنّك مهما عصيتَ الله تعالى وأذنبت، وإن بلغت هذي الذّنوب عنان السّماء أي أعلى السّماء، ثمّ عُدتَ إليه وتُبتَ واستغفرت، فإنّه يغفر لك مهما عظمت ذنوبك ومعاصيك، وكبر تقصيركَ وتفريطك في جنبِ الله تبارك وتعالى.

"يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"؛ أي يا ابن آدم إنّك لو متّ وجئت الله بملء الأرض أو ما يقاربها حجمًا أو وزنًا ذنوبًا وخطايا يغفرها لك، إلّا الشّرك به سبحانه وتعالى فإنّه لا يغفره ولا كفّارة له، والله تعالى يقول في مُحكم التّنزيل: {**إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**}.

سبحان الله ما أعظم حلمه وما أوسع رحمته! نأتيه بملء الأرض آثامًا ولكن موحّدين فيأتينا بملئها مغفرةً! فلا إله إلّا الله ملء السّموات والأرض وما فيهنّ، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا أن أنعم علينا بالتّوحيد ونسأله سبحانه أن يثبّتنا عليه حتّى نلقاه لا نشرك به شيئًا.

❑ الفوائد:

- سعة رحمة الله عزّ وجلّ بعباده وحلمه وعفوه.
- الرّجاء عند سؤال الله تعالى من شروط إجابة الدّعاء، فلا يدعو العبد ربّه بقلب لاهٍ وأيضًا لا ييأس من الدّعاء إذا تأخّرت الإجابة فيقنط.
- كلّ الذّنوب يغفرها الله عزّ وجلّ إلّا الشّرك به.

تمّت بحمدِ اللهِ وحدَه

اللّهمّ ما كان منّي من صواب فمنك وحدك لا شريكَ لك، وما كان منّي من خطأ فمن نفسي والشّيطان، وأعوذ بك ربّي من أن أكون جسرًا يُعبر منه إلى الجنّة ويُلقى به في النّار.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلّم على سيّدنا مُحمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبت: أم السمح القرشية

من ربوع الدولة الإسلامية

١٤٣٦هـ

فهرس المحتويات